موقف المرجعية الدينية في النجف الاشرف
اتجاه التطورات السياسية والامنية
في العراق بعد عام ٢٠٠٣

177

All rights reserved to Iraq Center for Studies

جميع الحقوق محفوظة لمركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات

Center Of Iraq For Studies

◄ بغداد ـــــــــــــــــــــــــــــــ +964 7707961315

◄ المكتبة . بغداد ـــــــــــــــــــــــــــــــ +964 7714023036

www.markazaliraq.net info@markazaliraq.net

تصميم الغلاف والإخراج الفني

أحمد الهاشمي Ahmad Al-hashemi

العنوان: العراق ـ النجف الأشرف ـ حي المعلمين

Tel: 07702781435 **Email:** ali.molaa14@gmail.com

موقف المرجعية الدينية
في النجف الاشرف
اتجاه التطورات السياسية والامنية
في العراق بعد عام ٢٠٠٣

أ.م.د. مرتضى شنشول ساهي
د.حسين علي مكطوف الاسدي

177

موقف المرجعية الدينية في النجف الاشرف

اتجاه التطورات السياسية والامنية في العراق بعد عام 2003

تأليف : أ.م.د. مرتضى شنشول ساهي، د.حسين علي مكطوف الاسدي
صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي
الناشر : مركز العراق للدراسات
المطبعة : الساقي للطباعة والتوزيع
رقم الاصدار: 177
سنة الطبع : 1444هـ-2022م
قطع الورق : وزيري 17 × 24
تصميم الغلاف والإخراج الفني : أحمد الهاشمي

The Opinions And Ideas In The Book Doesn't Represent Necessarily The Institute Of Iraq Center for studies

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات

مـركز العـراق للدراســات
Center Of Iraq For Studies
المركز: العراق ـ بغداد ـ كرادة ـ العرصات
المكتبة: بغداد ـ شارع المتنبي ـ قيصرية مصرف الرشيد ـ البناية البغدادية

المحتويات

المقدمة ٧

اولا: بروز المذهب الشيعي..... ٩

ثانيا: التطور الفكري للمرجعية الدينية ١١

الفصل الأول:

اثر المرجعية الدينية على النظام السياسية بعد عام ٢٠٠٣

المبحث الأول: موقف المرجعية الدينية من الاحتلال..... ٢١

المبحث الثاني: المرجعية الدينية والممارسة السياسية..... ٢٧

اولاً: المرجعية ومجلس الحكم الانتقالي..... ٢٨

ثانياً: المرجعية الدينية والدستور..... ٣٠

ثالثاً: المرجعية الدينية والانتخابات ٣٤

رابعاً: المرجعية الدينية و ولاية الفقيه..... ٣٦

الفصل الثاني:

اثر المرجعية الدينية على المقاومة الإسلامية

المبحث الاول: الارهاب وتحديات الدين الإسلامي ٤٣

اولاً: داعش والتمدد في العراق ٤٥

ثانياً: سقوط الموصل والانهيار الامني ٥٢

المبحث الثاني: فتوى الجهاد للمرجعية الدينية..... ٥٧

أولاً: بيان المرجعية حول التطورات الاخيرة... ..... ٥٧

ثانياً: فتوى الوجوب الكفائي... ..... ٥٧

ثالثاً: توضيح فتوى الوجوب الكفائي... ..... ٦٠

الفصل الثالث:

بروز الحشد الشعبي وانتصار المرجعية الدينية

المبحث الاول: بروز الحشد الشعبي ٧١
اولاً: بنية الحشد الشعبي ٧٦
ثانياً: ابرز انتصارات الحشد الشعبي ٧٩
ثالثاً: تحديات الحشد الشعبي ٨١
اولاً: تحديات خارجية ٨٢
ثانياً: التحديات الداخلية ٨٦
رابعاً: علاقة الحشد الشعبي بالمكون السني ٨٧
خامساً: علاقة الحشد الشعبي بإقليم كردستان ٩٢
سادساً: معركة تحرير الموصل ٩٥
سابعاً: الحشد الشعبي بعد الموصل ٩٧
المبحث الثاني: نماذج من تشكيلات الحشد الشعبي ١٠٣
اولاً: منظمة بدر ١٠٣
ثانياً: كتائب حزب الله ١٠٦
ثالثاً: سرايا السلام ١١٣
رابعاً: عصائب اهل الحق ١١٥
الخاتمة ١٢١
المصادر ١٢٣
اولاً: الكتب العربية والمترجمة ١٢٣
ثانيا: الدوريات والمجلات والمقابلات والتقارير ١٢٧
ثالثاً: الإطاريح الجامعية: ١٢٩
رابعاً: الانترنت: ١٣٠
خامساً: المصادر الاجنبية ١٣٤
المحتويات ٥

المقدمة

لعل من اهم المواضيع هي تلك التي لم تعط حقها في الدراسات والتحليل والتي يمر بها الباحثين والمحللين فيما سبق مروراً سطحياً، وقد لا تخلوا الدراسة فيها من وجل في بعض الأحيان لأسباب عديدة، منها ما يتعلق بمنهجية واسلوب الدراسة أو ما يتعلق بأسباب أخرى، ذلك أن الخوض فيها يتطلب شفافية ووضوح وهذا ما قد يكون غير مرغوب فيه في بعض البلدان وقد يكون من أهم هذه المواضيع موضوع المرجعية الدينية في العراق ففي الوقت الذي يمر فيه هذا البلد بظروف استثنائية قاهرة ربما هي الأشد خطراً في تاريخه الحديث، تقف المرجعية الدينية في النجف الاشرف ككيان مستقل يمارس الدور الأبوي للمكونات الداخلة في العملية السياسية، وبرز هذا الدور منذ قيام الدولة العراقية الحديثة وذلك عبر مقاومة الاستعمار البريطاني، واستمر هذا الدور طيلة الفترة ما بعد اعلان الدولة العراقية، ولاشك إن هذا الدور قد برز وبشكل كبير بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣، وإسقاط النظام المستبد السابق وقيام نظام جديد اغلب قياداته من الشيعة الذين اضطهدوا تحت سلطة النظام المستبد قبل عام ٢٠٠٣، ولعل الشيعة الاثني عشرية والتي تقف على رأس هرمها المرجعية الدينية هي الفرقة الإسلامية الوحيدة التي أبقت باب الاجتهاد والاستنباط مفتوحاً لمن له أهلية الاجتهاد بوسائل الاستنباط ومقدماته في العلوم المذكورة في مجالها من كتب الشيعة ومؤلفاتهم، وهي لا ترجع في فقهها إلى أراء ناس معدودين قد مضوا منذ

مئات السنين، بل ترى أن كل إنسان لديه أهلية في أن يستنبط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، إذا من يجد في طريق الاجتهاد ويصل إلى امتلاك ملكة الاستنباط، يمكن إن يكون مجتهداً. ولذا نرى كثير من المجتهدين في العواصم العالمية في كل عصر وزمان كما أننا نرى أن أراءهم منتشرة في أغلب الدول والبلدان، وينظر أليها بعين الإكبار والإجلال، والمرجع المقلد يجب أن يجمع صفات أهمها: الذوق السليم في معرفة مفاهيم الكتاب والسنة، والعدالة والعقل، والذكورة والإيمان، وطهارة المولد والإعلمية، فإذا جمع هذه الصفات صار مهيأ لأن يقلده الناس ويكون زعيماً دينياً، يأخذ بأزمة الأمة ويحل المشاكل التي تواجه المجتمع. وقبل الحديث عن دور المرجعية الدينية لا بد معرفة بدايات ظهور الشيعة وتطور (المرجعية الدينية الشيعية)(•).

(•) لا نسعى إلى الحديث بنفس يدعوا إلى تقسم الجسد الإسلامي وإنما الواقع العلمي والعملي جعل المرجعية الدينية سمة يختص بها المذهب الشيعي وتغلب على بقية المذاهب الإسلامية.

اولا: بروز المذهب الشيعي

انتشر (التشيع)(●) في العراق بعد أن اتخذ الإمام علي عليه السلام، العراق مقراً لحكمه، ومركزاً لنزاعه مع معاوية. وعند العودة إلى التاريخ الحديث لانتشار التشيع نجد ان علماء الشيعة الاثني عشرية استقروا في جبل عامل في بلاد الشام وفي العتبات المقدسة في العراق، مثلما استقر الشيعة الإسماعيلية في منطقتي مصياف والسلمية في سورية وفي شبه الجزيرة العربية كان في الحجاز وفي المناطق الشرقية من الجزيرة العربية وهي مناطق الاحساء والقطيف اما في عسير فانتشار التشيع مثل الفكر والعقيدة الإسماعيلية. أما في اليمن الشمالي كان المذهب الزيدي متمثلاً بـ(حركة أنصار الله المعروفة إعلامياً حركة الحوثيين نسبة الى مؤسسة حركة الشهيد عبد الملك الحوثي)، وكذلك كان لعلماء الدين الشيعة الاثني عشرية من جبل عامل دور رئيسي في نشر التشيع في إيران عبر العهد الصفوي، وكانت مهام علماء الشيعة الرئيسية القضاء والوعظ والتعليم. وكانت الرئاسة الدينية للعامليين تعود لكبار المجتهدين في النجف الاشرف.

والشيعة بصورة عامة ثوريين، ورافضين للاستعمار، وبقي الشيعة على مر التاريخ مناهضون لكل الأنظمة الاستبدادية والدكتاتورية المعادية لإرادة الشعوب المستغلة من قبل السلطة وأعوانها. وكانت هويتهم معارضة للقمع،

(●) يقصد بالشيعة هم الجماعة المتعاونون على أمر واحد في قضاياهم، يقال تشايع القوم إذ تعاونوا. للمزيد ينظر: جعفر السبحاني، المذاهب الإسلامية، ط ٢، مؤسسة الإمام الصادق، ٢٠٠٦، ص١٤٥.

فمنذ الدولة العثمانية والشيعة يواجهون كل ألوان التغييب والتعذيب عبر السياسة الطائفية التي مارسها العثمانيون، ومنها القرارات التي اتخذت (الفرمانات)، التي تقضي بمنع الشيعة من مزاولة الحكم والسلطة والعلم وامتلاك الأراضي إلى غيره من القرارات بل تجاوزت ذلك الى شن الحروب ضد المذهب الشيعي، مع أن شيعة العراق بقيادة المرجعية الدينية قاتلوا تحت راية العثمانيين حينما اجتاحت القوات الغزو البريطاني العراق عام ١٩١٤، واستمر لواء المرجعية مقاتلاً لغاية عام ١٩٢٠.

وحتى بعد نشوء النظام الملكي العراقي الذي أتى لاحقاً عام ١٩٢١، فقد حرم الشيعة من الاقتراب من مراكز السلطة وذلك لموقفهم المضاد للإنكليز منذ دخولهم للبصرة، حيث قاومتهم المرجعية الشيعية في حركة الجهاد، ثم قام الشيعة بثورة العشرين، ورفضهم بعد ذلك التصويت على المعاهدة العراقية – البريطانية. وان ضعف تمثيلهم بالمؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية لا يتناسب مع عدد نفوسهم إذ يشكل الشيعة ٦٠٪ من السكان وهم الأكثرية حتى الوقت الحاضر[١].

استمر اضطهاد المذهب الشيعي على يد قادة الدولة العراقية الحديثة، وبالمقابل فقد استمر شيعة العراق بإظهار انتمائهم إلى الشعب العراقي، وتوجه الاضطهاد بوصول البعثيين بعد الانقلاب عامي ١٩٦٣ و١٩٦٨، وكان عهداً لا نظير له في الإجرام والطائفية والدموية ومقابر جماعية ضد المكون الشيعي، وتضاعفت الجريمة الطائفية بحق شيعة العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وتغير

(١) عبد الخالق ناصر شومان، الطائفية السياسية في العراق (١٩٥٨ – ١٩٩١) ، دار الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص٢٢.

هذا الحال بعد الإطاحة بالنظام الصدامي المستبد على يد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، مما أدى إقرار حقوق الشيعة دستورياً، واستلامهم الحكم، وتنامي نفوذهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

ثانيا: التطور الفكري للمرجعية الدينية

أن انصياع الفرد لقيادة المرجعية الدينية متأتي من اعتقاد الفرد أنها تمثل الامتداد لخلافة الرسول صلى الله عليه وآله. وقد تحول عنصر الإيمان بهذه الرسالة والخوف من العقاب الإلهي إلى وازع داخلي لدى الفرد فاخذ يحترم مشيئتها مادامت تعبر في نظره عن القيم والمعتقدات التي يتمسك هو بها، إما إذا لم تَعد تنسجم مع تفكيره فانه لن يخضع إلا مرغماً. وقد أطلق بعض فقهاء الشيعة صفة المؤسسة على المرجعية الدينية ذلك أنهم يرون أن المرجعية الدينية يجب ان تكون مؤسسة لكي يمكنها التحرك بحرية داخل البيئة المجتمعية التي تعيش فيها.

إذن فالمرجع هو نائب (الإمام الغائب)(●)، ووجوده يسد فراغ الإمام في مختلف الجوانب الروحية والفكرية والسياسية والاجتماعية إذ لا يعيش الناس فراغ القيادة في جانب من الجوانب سواء كان ذلك في دائرة القضايا التي تتحرك في داخل الوضع الإسلامي الشيعي أو داخل الوضع الإسلامي العام أو في القضايا العالمية المرتبطة بالوضع الإسلامي، لذا فمن الطبيعي إن لا يكون المرجع مرجعاً

(●) هو الإمام أبو "القاسم محمد المهدي قائم آل محمد بن الحسن الخالص بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام". كانت ولادته الطاهرة في مدينة "سر من رأى" في العراق عام ٨٣٤، عاش مع أبيه "الحسن بن علي" أربع سنين وستة أشهر و٢٣ يوماً، ابتدأت غيبته الصغرى عام ٨٣٩، واستمرت حتى عام ٩٠٨، وبدأت الغيبة الكبرى. ينظر: علي الفياض، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، بيروت، ٢٠١٠، ص١١٦.

في الفتيا فقط أو مرجعاً في القضايا التي تعيش على هامش الفتيا كالحقوق الشرعية وأمور القاصرين وما إلى ذلك مما اعتاد الفقهاء إن يتحدثوا عنه كموقع للمجتهد أو كموقع للمرجع أو مسألة القضاء التي يعتبرها الفقهاء من صلاحيات المرجع أو صلاحيات المجتهد[١].

وكان أول من صاغ العلاقة بين الاجتهاد والتقليد عند المذهب الشيعي صياغة عقدية هو العالم (حسن بن زين العاملي)(•) وكان يتنازع علماء المذهب تياران فكريان **أولهما**: يسعى إلى تطوير أصول الفقه والعقلانية في المذهب، بينما كان **الثاني**: يلتزم بالتقليد والتقيد بحرفية النص. وسمي الأول بـ(التيار الأصولي)، والثاني بـ(التيار الإخباري) ومن أشهر الأصوليين الذين حاربوا المدرسة الإخبارية، آية الله محمد باقر الملقب بـ(الوحيد البهبهاني)(••)[٢].

وقد أسس مفهوم المرجع الديني "مرجع التقليد"، الشيخ (مرتضى الانصاري)(•••)، واعتبر مبدأ التقليد للمؤمن فرضاً وحدد شروطه. وكان الشيعة

---

(١) نقلاً عن: حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، مؤسسة دار الإسلام، مطبعة الصدر، لندن، ١٩٩٩، ص٤٣٢.

(•) الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن الشيخ زين الدين ابن علي بن أحمد، ابن الشهيد الثاني العاملي الجبعي، ولد عام ١٥٣٨م، في قرية جباع في جبل عامل، قُتل والده وهو ابن ست سنين، معروف بالشيخ حسن صاحب المعالم نسبة إلى كتابه معالم الدين، من فقهاء الشيعة المحققين، أديب وشاعر، ولديه العديد من المؤلفات. للمزيد ينظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا على الموقع: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(••) الشيخ محمد باقر الشهير بـ(الوحيد البهبهاني) ابن المولى محمد أكمل الاصفهاني، المنتهي نسبه إلى محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) أعلى الله مقامه. مجاهد كبير وأشهر علماء الامامية وأجلَّهم في عصره. للمزيد ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، المصدر نفسه.

(٢) حسين علي مكطوف الاسدي، إيران والمنهج الديمقراطي، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٥، ص٥٦.

(•••) الشيخ مرتضى الأنصاري: ولد عام ١٧٩٣، أكمل دراسته في النجف الاشرف وكربلاء =

بوجه عام يزكون أموالهم ويدفعون خمس دخولهم للمجتهد الذي يعتبرونه مرجع التقليد. وكان المجتهد يوظف الأموال في بناء المدارس وتطويرها ومساعدة الطلبة. وكانت المرجعية الدينية تتمتع بقدر كبير من الاستقلال عن الدولة العثمانية وعن الدولة في العراق أو لبنان وسورية[١].

واستطاعت المرجعية الدينية أن تبلور مرحلة جديدة في حياة الأمة الإسلامية عبر توسيع دائرة اهتماماتها لتشمل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تخص البلاد الإسلامية وتتصل بحياة المسلمين اليومية. ويُعد الإمام (الخميني)[•] أول فقيه يقوم بتأسيس دولة في تاريخ الفقه الشيعي، على أساس المرجعية الدينية وأكد على ضرورة الانتفاضة والثورة ومقاومة الظلم، ولزوم تأسيس حكومة إسلامية عبر تدوين دروسه الفقهية في النجف الاشرف،

= المقدسة، ثم انفرد بالتدريس والتأليف، ووضع أساس علم الأصول الحديث عند الشيعة، توفي عام ١٨٦٠. ينظر: شيماء الدمرداش العقالي، نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص٩١.

(١) مهند مبيضين، الفكر السياسي الإسلامي والإصلاح التجربتان العثمانية والإيرانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨، ص١١٢.

(•) روح الله بن مصطفى بن احمد الموسوي، ولد بمدينة خمين جنوب غربي طهران في إيران، في ٢١ أيلول ١٩٠٢، من أسرة عرفت بالعلم والفضل والتقوى.. استشهد والده، وكان عمره ستة أشهر ليصبح يتيما منذ صباه، أمضى الإمام فترة طفولته وصباه تحت رعاية والدته السيدة "هاجر"، ودرس في مدينة خمين حتى سن التاسعة عشر مقدمات العلوم، بما فيها اللغة العربية والمنطق والأصول والفقه، وفي عام ١٩٢١، التحق في الحوزة العلمية في مدينة "أراك" ثم هاجر إلى مدينة "قم"، ثم انتقل إلى النجف الاشرف، ويعتبر فيلسوف ومرجعاً شيعياً، ورجل دين سياسي، وهو قائد الثورة الإسلامية في إيران ومؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية توفي في ٢٤ آب عام ١٩٨٩. ينظر: علي البغدادي وآخرون، قراءات في فكر الإمام الخميني، ج١،المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، سلسلة البحوث والأفكار (١) ، بغداد، ٢٠١٠، ص٣٦. وعبد الرحيم الحمراني وآخرون، لمحات من حياة الإمام الخميني، ترجمة: لجنة الغدير، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، بلا، ص١٧.

وطرحت بقية آرائه السياسية في كتابيه، الحكومة الإسلامية، وتحرير الوسيلة، واستطاع الإمام الخميني أن يصل بالفكر السياسي الشيعي المتعلق بالمرجعية والولاية إلى أعلى درجة متمثلة في وصول المرجع الديني إلى أعلى هرم السلطة[١].

أما في العراق كان للمرجعية الدينية الدور الرئيسي في الحفاظ على هوية شيعة العراق، وتجاوز هذا الدور مرحلة الإفتاء واستنباط الأحكام الشرعية، إلى ما يقرر المصير السياسي، واستمر هذا الدور للمرجعية الدينية إزاء الضغط والقمع الذي مارسته الأنظمة الحاكمة والدور الذي لعبته هذه الأنظمة في فصل المرجعية الدينية عن المجتمع، وتذويب والولاء الاجتماعي في مؤسسة الدولة القومية والعلمانية، عن طريق تسفير المراجع الكبار بتهمة أن هؤلاء إيرانيون أمثال (السيد أبو الحسن الاصفهاني، والشيخ حسين النائيني، والشيخ الخالصي)، بعد انتهاء ثورة العشرين في حقبة الحكم الملكي السعدونية وأدى هذا التوجه الحكومي، الى اختلاف العلاقة بمراجع الدين مع الدولة، إلا أن الشعب العراقي بشكل عام والشيعة بشكل خاص وصلوا إلى قناعة من أن السير خلف هذه المرجعية يحفظ توجهاتهم السياسية ويجلب لهم الاستقرار. ومن هنا ارتكز التحرك السياسي لدى شيعة العراق دوماً على المرجعية منطلقاً واستمراراً، خصوصاً أن التاريخ السياسي لشيعة العراق جعلهم مترابطين مع توجهات المرجعية الدينية، مما ولد ثقافة لديهم تنتهي إلى الولاء لهذه المؤسسة المؤثرة والفاعلة في توجيه الأمة بكل مفاصل الحياة[٢].

---

(١) شيماء الدمرداش العقالي، المصدر السابق، ص١٢٣.

(٢) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، شيعة العراق مصادر القوة والتحديات، مركز العراق للدراسات، ٢٠١٤، ص٣٨.

وهذا ما سوف يكون محور دراستنا فقد استطاعت المرجعية الدينية أن تكون هي المؤسسة الأولى في الحفاظ على وحدة العراق بصورة عامة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وأثرها على التوجهات السياسية وتوجهات المجتمع العراقي بكل اطيافه وصولا إلى دورها في حفظ امن العراق ومواجهة تمدد داعش إلى العراق عبر فتوى الجهاد الكفائي.

الفصل الأول:

أثر المرجعية الدينية على النظام السياسي بعد عام ٢٠٠٣

لقد عملت الولايات المتحدة على محاولة إضعاف الدين الإسلامي بصورة عامة عبر إضعاف البنية العينية والذهنية، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أنظمة سياسية واجتماعية تهمش دور الدين في الحياة السياسية والاجتماعية، وذلك عن طريق فرض الأنظمة العلمانية والليبرالية على المجتمعات الإسلامية[1]، وكان الهدف الأساس هو جعل منطقة الخليج والعراق خصوصاً منطقة مصالح حيوية ذات طبيعة إستراتيجية من الدرجة الأولى وعلى رأس تلك المصالح تأمين النفط وحماية (إسرائيل)، واستمرارية تحقيق مشروعها التوسعي الإمبراطوري العالمي[2].

تعرض العراق للتدمير المتعمد والمنظم في إطار تأسيس الولايات المتحدة لمرحلة جديدة من المصالح الإستراتيجية التي تقضي إلى السيطرة على أكثر المناطق اقتصادية في العالم، فكانت حرب العراق عام ٢٠٠٣، تكملة وتتمة للحرب الاقتصادية المدمرة والتي فرضت منذ عام ١٩٩١، عندما فرضت الولايات المتحدة الحصار الاقتصادي الشامل على العراق إذ مهد الطريق أمام الغزو العسكري المباشر، واسهم في إضعاف إمكانيات العراق الاقتصادية والعسكرية، فكان احتلال العراق الحلقة الأساس في مخطط الانتقال المادي المباشر للولايات المتحدة الأمريكية إلى الأمة العربية عن طريق العنف في تدمير دولة العراق[3]، وقد

(١) علي اكبر ولايتي، موسوعة الإسلام وإيران، ج٤، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٦، ص١٩٤.

(٢) مصطفى الدباغ، إمبراطورية تطفو على سطح الإرهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢٤.

(٣) العربي الصديقي، إعادة التفكير في الديمقراطية العربية – انتخابات بدون ديمقراطية، مجلة المستقبل العربي، السنة الثالثة والأربعون، العدد (٣٨١) ، بيروت، تشرين الثاني ٢٠١٠، ص٢٤.

كان هذا المشروع الاستعماري الكبير معلوم لدى المرجعية الدينية وبالتالي عرفت دورها ووعت ظرفها، وتحملت مسؤوليتها، وصممت على أن تقتحم المخاض العسير بما لديها من طاقة الصبر والأناة والتدبير، وهنا بدأت المرجعية تعمل على استعادت زمام الأمور بيد الشعب العراقي والتخلص من المحتل، والعمل على تقويم ودعم النظام السياسي الجديد بما يضمن الحرية والعدالة والحفاظ على الأسس الإسلامية ووحدة الشعب العراقي. ولمعرفة هذا الدور لابد من الوقوف على موقف المرجعية الدينية من الاحتلال، إضافة إلى الفكر السياسي للمرجعية الدينية وأثره على النظام السياسي.

المبحث الأول
موقف المرجعية الدينية من الاحتلال الأمريكي

لعل من الأمور المهمة التي يجب التأكيد عليها هنا إن المرجعية الدينية لم يتغير موقفها وعلى مر السنين في تعاملها مع المحتل أو مع سلطة الظالمة المنتهكة لحقوق العالم اجمع وللمسلمين بشكل خاص كونها تَعتبر نفسها الجهة الشرعية المسئولة أمام الله في الحفاظ على هذه الحقوق بحكم موقعها في إمامة الناس. والذي يتبع تاريخ الشيعة سيجده حافلاً بالممانعة لأي غزو أجنبي للعراق وكل البلاد الإسلامية، وقد خسر شيعة العراق الكثير من جراء مواقفهم إزاء الاستعمار والاحتلال والتدخلات الأجنبية، كان الشارع الشيعي وبالرغم من جور صدام حسين وأثار الحصار رافضاً لخيار التدخل العسكري لقلب النظام وعملياً قاوم الشيعة ومن الوهلة الأولى القوات الزاحفة باتجاه العراق في منطقة أم قصر والناصرية وغيرها بخلاف الكثير من المناطق التي دخلها الجيش الأمريكي دون مقاومة كمناطق غرب وشمال العراق.

وعلى هذا الأساس حذرت صحيفة الكارديان البريطانية، من أي حكومة دستورية تفرضها الولايات المتحدة "**لن تعيش طويلاً**"، فأن السلطة تكمن في مكان آخر، حيث توجد الأغلبية الشيعية التي كان صدام قد قمعها، وتمركزت الإدارة الشيعية الغالبة في العراق التي كانت اتحاداً شيعياً حقيقياً ومقرها في النجف الاشرف، وقد أعرب رجال الدين الشيعة عن تصميمهم الوسائل السلمية كلها،

لإفهام الولايات المتحدة أن المرجعية خلافاً لما يقال عن أنها جماعات معارضة منفية بل تتمتع بقوة حقيقية داخل العراق، وهذا ما صدمت به الولايات المتحدة، وذلك عن طريق مقال نشرته جريدة الفايننشال تايمز "**إن السرعة التي تميز بها عمل رجال الدين الشيعة والسياسيين، في شؤون الأمن والرفاهية، التي أخفقت الولايات المتحدة باستيعابها، وأقلقت بعض المسؤولين.. وان نجاح الولايات المتحدة يكمن في التعامل مع الاكثرية الشيعية، بدلاً من المخاطرة والعمل ضدهم**[1].

ولاشك إن المرجعية الدينية في النجف الاشرف متمثلة بالإمام (علي السيستاني)[•] هي واحدة من أهم تلك المرجعيات التي كان لها مواقف واضحة في رفض الاحتلال عام ٢٠٠٣ رغم أنها لم تكن تحتفظ بعلاقة طيبة مع نظام صدام حسين. "**فقد تعرض الإمام علي السيستاني كغيره من المراجع لمضايقة نظام صدام حسين ولم يكن بعيداً عن هذه المضايقات رغم سياسة القطيعة التي كان ينتهجها في**

(1) Ewen Mac Askill, 'Baghdad waitis in fear for rebuilding to start', Guardian, 9 May 2003, p. 15.

(•) الإمام علي السيستاني هو احد ابرز تلامذة الإمام الخوئي الذي امسك زمام مرجعية الشيعة بعد السيد محسن الحكيم قرابة عقدين من الستين أي انه توفي في عام ١٩٩٢م، فخلف للإمام علي السيستاني أرثا جماهيرياً كبيراً وقاعدة كبيرة من المقلدين أخذت تسمى داخل الأوساط المثقفة بالمدرسة التقليدية متميزة عن مدرسة أخرى رسم ملامحها علماء كبار مثل الإمام محمد باقر الصدر والإمام محمد صادق الصدر أخذت تسمى بالمدرسة الحركية. ولد الإمام السيستاني، في مشهد في إيران عام ١٩٢٠م، من عائلة عرفت بالعلم والتدين ودرس الفقه والأصول في مدارس قم المقدسة إلى أن هاجر منها إلى النجف عام ١٩٥٢م، وتتلمذ على يد الإمام الخوئي والسيد حسين الحلي، الذي أجازوه أخيرا وأعطوه شهادتين ببلوغه الاجتهاد. ينظر: وليفريد بوختا، من يحكم ايران، دراسات مترجمة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ابوظبي، ٢٠٠٩، ص١٢٠. وكذلك: الموقع الرسمي لمكتب الإمام السيستاني، السيرة الذاتية للإمام السيستاني، شبكة الانترنت، على الموقع:

www.sistani.org

علاقته بالنظام السابق"، "فقد تعرض لمحاولات عديدة لاغتياله منها المحاولة التي جرت في ٢٢/ ١١/ ١٩٩٦، كما وضع الإمام علي السيستاني تحت الإقامة الجبرية الفعلية عام ١٩٩٤، لوضع حد لعلاقته مع الشيعة حيث كان النظام المستبد بهذه الطريقة يأمل بتخويف وتدمير إي شكل من إشكال القيادة المستقلة بين الشيعة"[١].

إن هذا الضغط من قبل الحكومة على مرجعية الإمام علي السيستاني لم يدفع به إلى تشجيع الحل العسكري أو الاحتلال المباشر لقلب النظام فاخذ يحث أبناء الشعب العراقي على ضرورة الدفاع عن بلادهم والوقوف يداً واحدة ضد هذا العدوان.

حيث أجاب على احد الأسئلة الموجهة إليه وكما يلي:

تتصاعد هذه الأيام تهديدات الإدارة الأمريكية وبعض حلفائها بالهجوم على العراق وغزو أراضيه فنرجو إن توضحوا ما هو واجب المسلمين تجاه التهديدات؟

فأجاب ((بسم الله الرحمن الرحيم "قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين"، وقال عز من قائل "إذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير" إن من واجب المسلمين في هذا الظرف العصيب أن يوحدوا كلمتهم ويبذلوا كل ما بوسعهم في الدفاع عن العراق العزيز وحمايته من مخططات الأعداء الطامعين، وليعلم الجميع انه لو تحقق – لا سامح الله– مأرب المعتدين في العراق لسوف يؤدي ذلك إلى نكبة تهدد العالم الإسلامي بصورة عامة فعلى كل مسلم ان يعي هذه الحقيقة ويقوم بما يمكنه في سبيل الذود

(١) نقلاً عن: تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص٣٥١.

عن العراق المسلم ومنع العدوان عليه. ومن المؤكد أن العراقيين شعباً وقيادة سيبقون متراصين متكاتفين يشد بعضهم آزر بعض أمام أي اعتداء وسيقاومونه بكل قوة وصلابة وسيخيبون آمال المعتدين بعون الله تبارك وتعالى. وان تقديم إي نوع من أنواع العون والمساعدة للمعتدين يعد من كبائر الذنوب وعظائم الحرمات يتبعه الخزي والعار في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة لقد قال الإمام الصادق عليه السلام، "من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عز وجل يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمتي"، فكيف يمن بعين على ضرب شعب مؤمن ويتعاون مع الأجنبي في الاعتداء على بلاد المسلمين اسأل الله العلي القدير أن يأخذ بأيدي المسلمين إلى ما فيه الخير والصلاح وان يجنب العراق شر الأشرار وكيد الكفار انه سميع مجيب))، يضاف إلى موقف الإمام السيستاني هذا بيانات أخرى صدرت من المراجع الباقين والذين يتزعمون مؤسسة المرجعية الدينية في النجف حيث قال المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم في فتواه:

((بسم الله الرحمن الرحيم " " إن جهنم كانت مرصاد للطاغين مآبا" صدق الله العلي العظيم. يجسد الطغيان الأمريكي هذه الأيام بالحملة الشرسة على العراق بلد المقدسات ومهد الرسالات وتسعى الولايات المتحدة وأعوانها بدء الحروب الصليبية وإحياء دعوتها الحاقدة وفرض سيطرتها على بلاد المسلمين ونهب مقدراتهم وانتهاك كرامتهم تدعوا المسلمين جميعا إلى جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وان يكونوا يداً واحدة بوجه هذا العدو الحاقد كي يكون الله سبحانه وتعالى في عونهم ويرد كيد المعتدين إلى نحورهم مذمومين مدحورين كما نحذر كل من تسول له نفسه التعاون مع أمريكا عدوة الشعوب من لعنة الله تعالى ونقمة الشعوب الإسلامية ولعنة التاريخ من الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى إن يخرج العراق العزيز من هذه

المحنة سالماً أمنا موحداً ويرد كيد المعتدين خائبين خاسرين ورد الله الذين كفروا بعد ظلم لم ينالوه اخيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً))[١].

والسيد محمد سعيد الحكيم هو ابن شقيقة السيد محسن الحكيم وقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات قضاها في سجن أبو غريب حتى ساءت حالته الصحية ونقل بعد خروجه من السجن إلى العلاج، لكن هذا العداء وسوء العلاقة مع النظام السابق لم يؤدي بالمراجع إلى تغير النظام عن طريق الاحتلال لان ذلك فيه انتهاك لحرمات المسلمين والسيطرة على مقدراتهم. مما تقدم يتضح إن المرجعية الدينية متمثلة بالإمام السيستاني كان تتصرف وفقاً لسياسة رسمتها لنفسها أملتها عليها مسيرتها الفقهية وظروف المرحلة فبعد دخول قوات التحالف إلى العراق لم تصدر أي فتوى من السيد السيستاني بخصوص مقاومة المحتل تكون امتداداً للفتوى التي صدرت قبل دخول هذه القوات أو بنفس سياقها ويمكن تأويل ذلك بجملة من الأسباب أهمها ما يأتي[٢]:

١ – إن الإمام السيستاني يعلم إن النظام السابق ليس بالنظام المأسوف عليه وهو يستحق إن يزال من جذوره ويعلم أيضا انه لا توجد قوة عراقية فعلية قادرة على أزالته لذا فأن السكوت الحكيم هو أفضل وسيلة للتخلص من النظام السابق وتسهيل أمر سقوطه واعتقد إن الفتوى الوحيدة التي صدرت من السيد هي "**عدم جواز مساندة الظالمين**" وبهذا يخلط السيد الأوراق على النظام السابق وعلى قوات التحالف أيضا.

---

(١) نقلاً عن: شامل عبد القهار، الحرب على العراق كتاب في ملفات الحلقة الخامسة، الانترنت على الموقع: www.albasrah.net

(٢) نقلاً عن: محمد جعفر النوري، دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف، ٢٠١٣، ص١٧٥.

٢- إن الإمام السيستاني يعلم تماماً أن الشعب العراقي يتوق للخلاص من نظام سياسي سبب له الكثير من المشاكل وكلفه باهض الثمن بالأرواح والأموال والأخلاق والقيم، لذا فان أي فتوى بوجوب مقاومة المحتل لن تجد أذاناً صاغية في الشارع العراقي بل ستخلق أزمة بين الحوزة ذات الإرث العريق والمجتمع العراقي التواق إلى التحرر بأي وسيلة كانت ولهذا فهمت فتوى الإمام السيستاني على وجوب الوقوف على الحياد واعتقد إن هذا ما أراده فعلاً وكان له ما أراد فغالبية المجتمع العراقي وقفت على حياد.

٣- إن الإمام السيستاني يعلم إن المقاومة ستكون غير مجدية مع قوة مهولة كقوة الولايات المتحدة وبريطانيا لذا إن التعامل بحكمة ورؤية وكيفما إنما النتائج اسلم من المواجهة والتصدي لقوة كالولايات المتحدة لذلك كانت تلك الفتوى بمثابة دعوة العراقيين للوقوف على الحياد خاصة وان الغالبية الساحقة من العراقيين ترغب بزوال النظام وان اختلفوا في كيفية زواله.

المبحث الثاني
المرجعية الدينية والممارسة السياسية

صار الإمام السيستاني محط أنظار والشغل الشاغل لاهتمام العديد من وسائل الإعلام في أعقاب اندلاع الحرب على العراق، وبعد استيعاب وفهم النفوذ الهائل للإمام السيستاني لدى جزء كبير من الشعب العراقي، أخذت النظريات الخاصة بـ(الرؤيا السياسية)، للإمام بالتضاعف والازدياد، إذ كان الفهم السائد لدى الكثير هو أن الإمام السيستاني يفضل الفصل التام للدين عن الدولة كما هو الحال في الغرب (فصل الكنيسة عن الدولة)، وقد شكلت هذه الرؤية عاملاً مساعداً في العديد من الرؤى حول كيف سيتصرف العراق الجديد المدعوم من الغرب، ويشمل ذلك تبني هذا البلد لمبادئ العلمانية التركية أو ماليزية، وانه يمكن إشباع المشاعر والعواطف الإسلامية المتنامية في صفوف العراقيين عبر بعض الفقرات والبنود المنمقة في الدستور، من قبل النصوص التي تقول بوجوب أن يكون رئيس الدولة مسلماً أو ضمانات بإبقاء يوم الجمعة عطلة رسمية، وعلى الأغلب كان ينظر إلى صمت الإمام السيستاني بأنه ضمان لن يصار إلى نسخ المشهد السياسي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولن يرى هكذا احتمال النور في العراق الجديد، ولكن بعد ٢٠٠٣، صار واضحاً أن للإمام السيستاني دوراً مهماً في السياسة العراقية وبدا ان أطروحة (الصمت)، للمرجعية الدينية في العراق قد أفل نجمها، ففي آيار من نفس العام حذر الإمام رجال الدين من تبوء مناصب سياسية وحدد

دورهم في تقديم المشورة العامة، إلا أن الأمر تغير في حزيران ٢٠٠٣ وحتى كانون الأول ٢٠٠٤، فقد دخل الإمام مابين هذين التاريخين وعلى نحو مفاجئ كناطق سياسي ومرشد متمرس معطياً توجيهاته للعملية السياسية في العراق ودخل في حوارات مع المجتمع الدولي واجبر الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في سياستها، كما تبنى أساليب أكثر دبلوماسية في التعامل مع القرارات[١].

ويتمثل دور المرجعية الدينية في العملية السياسية بما يلي:

اولاً: المرجعية ومجلس الحكم الانتقالي

لقد سبق موقف المرجعية الدينية متمثلة بالإمام السيستاني، من الدستور، مسألة مجلس (الحكم الانتقالي)[•]، وفي رده على سؤال: ماهي وجهة نظركم تجاه مجلس الحكم الانتقالي؟ يجيب الإمام (**لن نذكر شيئاً بشأن مجلس الحكم، والشعب العراقي يأمل أن يقوم المجلس ببذل كل الجهود في سبيل تسيير أمور البلد في الفترة**

(١) رايد فيسر، السيستاني والولايات المتحدة والشأن السياسي في العراق من السكوتية إلى الميكافيلية، المعهد النرويجي للشؤون الدولية، ٢٠٠٦، الانترنت، على الموقع:
http://historiae.org/about.asp&prev=search

(•) يتألف من ٢٥ عضواً كانت حصة الشيعة ١٣ عضو وهم ابراهيم الجعفري، احمد البراك، احمد الجلبي، أياد علاوي، حميد مجيد موسى، عبد الكريم المحمداوي، عقيلة الهاشمي، موفق الربيعي، وائل عبد اللطيف، رجاء الخزاعي، عز الدين سليم، محمد بحر العلوم، وعبد العزيز الحكيم، والسنة ٥ أعضاء، عدنان الباججي، غازي عجيل الياور، محسن عبد الحميد، نصير الجادرجي، سمير الصميدعي، الاكراد، ٥ أعضاء، جلال الطلباني، مسعود البارزاني، محمود عثمان، صلاح الدين بهاء الدين، دارا نور الدين، كما ان رئاسة هذا المجلس مؤلفة من تسعة أشخاص تتعاقب شهرياً حسب الأحرف الأبجدية، وأول من ترأس مجلس الحكم الانتقالي، إبراهيم الجعفري. ينظر: خالد محسن جابر اليعقوبي، السياسة الأمريكية تجاه العراق وانعكاساتها الاقليمية والدولية بعد نيسان ٢٠٠٣، الدرار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٣، ص٥٠٣.

الانتقالية بتوفير الامن والاستقرار والخدمات العامة والتمهيد لأجراء انتخابات المؤتمر الدستوري، ويعتبر مجلساً لتسيير الأمور اليومية لا سلطة ذات سيادة وغير مخول للبت بالقضايا والخيارات الرئيسية للشعب العراقي لكونه معين من قبل سلطات الاحتلال الأميركي)[١]، كما دعا (بول بريمر)[•]، إلى توقيع (اتفاقية العملية السياسية)، مع مجلس الحكم الانتقالي عندما كان جلال طالباني يترأس دورته بتاريخ ١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٣، والذي يتضمن اتفاقية مع قوات التحالف حول الأمن واختيار أعضاء للجمعية الوطنية الانتقالية وإعادة السيادة العراقية. إلا أن موقف المرجعية أكد ان اي قانون يوضع للمرحلة الانتقالية لن يكتسب الشرعية إلا بعد أن تصادق عليه جمعية وطنية منتخبة، وأجاب مكتب الإمام السيستاني، على اسئلة مكتوبة وجهتها له جريدة الواشنطن بوست الأمريكية حول اتفاق ١٥ تشرين الثاني، وأجاب بقوله: **(إن ذلك لا يضمن قيام جمعية تمثل الشعب العراقي حق التمثيل، كما يضع عقبات في طريق التوصيل إلى دستور دائم للبلاد يحفظ وحدتها وحقوق أبنائها من الإثنيات والطوائف كافة)**[٢].

وفي ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٤، أعلن كوفي أنان، الأمين العام للأمم المتحدة انه قرر إرسال بعثة دولية إلى العراق لدراسة إمكانية إجراء انتخابات عامة تفضي إلى قيام جمعية وطنية انتقالية، تلبية لطلب نقلته إليه سلطات الائتلاف المؤقت برئاسة

---

(١) نقلاً عن: عمار البغدادي، الحوزة العلمية وأثرها في بناء العراق الحديث، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف، بلا، ص٤٢.

(•) الحاكم الأمريكي الذي عين من قبل الولايات المتحدة لإدارة العراق وكان له دور مهم في القضاء على البنية التحتية للعراق وابرز ما قام به حل المؤسسات الأمنية.

(٢) نقلاً عن: حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقية، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٧، وثيقة رقم (٤٣) ، ص ٨٠.

الحاكم المدني بولبريمر ومجلس الحكم الانتقالي، نزولاً عن أمر الإمام السيستاني[١].

ثانياً: المرجعية الدينية والدستور

اختارت الأكثرية في الشعب العراقي الإمام علي السيستاني ليكون مشروعاً ليحل ما قد يلتبس عليها، وبالتالي وجد الإمام نفسه في موقع مسؤولية عظمى تملي عليه واجبات كبيرة اهمها الاشتراك في رسم السياسة العامة ومما يتعلق بها عبر التدخل في وضع بصماته على اهم وثيقة تحكم الحياة العامة الا وهي الدستور، فالإمام علي السيستاني على غرار الإمام(ابو القاسم الخوئي)[•]، يرى(**أن العلماء اساساً كمعلمين ومدافعين عن الإيمان وهي ادوار لا تضطلع بها حكومة إسلامية حصراً بل تؤدى عبر حماية وتعزيز الدين الإسلامي اياً تكن الحكومة**)[٢].

وان عملية تبادل الأدوار بين القيادة الدينية في التعاطي مع مختلف القضايا الدينية والسياسية هو الذي جعل خصوم الدين الإسلامي وفي مقدمتهم

(١) خالد محسن جابر اليعقوبي، المصدر السابق، ص٥٠٦.

(•) ابو القاسم بن علي اكبر بن هاشم تاج الدين الموسوي الخوئي: ولد بمدينة خوي التابعة لأذربيجان عام ١٨٩٩، هو مرجع ديني، ومن اكبر علماء الشيعة الأمامية في عصر الغيبة، أنهى دراسته الابتدائية في مدينة خوي، وتعلم فيها القراءة والكتابة، ثم لحق بوالده الى النجف الاشرف عام ١٩٠٧، تسلم رئاسة الحوزة العلمية في فترة نظام الحكم البعثي في العراق، ووقت الثورة الإسلامية في إيران، ما جعل النظام البعثي يحس بالخطر المباشر من هذه الثورة، طلبت السلطة من السيد ان يصدر فتوى يعارض فيها ثورة الإمام الخميني، ولكنه نتيجة الرفض تعرض للكثير من المضايقات على يد النظام البعثي المقبور، وفي عام ١٩٨٠، عمدت السلطة لتفجير السيارة الذي كانت تقله الى مسجد الخضراء، ولكنه نجا من حادث الانفجار بأعجوبة بالغة، توفي عام ١٩٩٢، بمدينة النجف. ينظر: الشيماء الدمرداش العقالي، المصدر السابق، ص١٨٦.

(٢) ولي نصر، صحوة الشيعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧، ص١٧٠.

الاستكبار العالمي يعيش في حيرة من أمره، فهو لا يستطيع أن يتعاط مع لون واحد من المراجع الدينية، بل انه يتعاط مع مؤسسة يقودها علماء يتعددون بالأدوار، ويجمعهم هدف واحد، وهذا ما ظهر جلياً في تعامل المرجعيات الدينية مع الوضع في العراق بأدوار مختلفة، ليس بعد سقوط النظام فحسب، بل حتى في عهد النظام، ففي الوقت الذي وجدنا الإمام الخوئي يقود المرجعية والحوزة من زاويتها العلمية والأكاديمية، وجدنا الإمام (محمد باقر الصدر)(•)، يخوض غمار المواجهة الفكرية والعقائدية والسياسية مع خصوم الدين.

واستطاع الإمام السيستاني، بعد عام ان يجمع بين الطريقة القديمة في التعامل مع الأمور السياسية وأمور الدولة وبين الاقتراب من الخط السياسي الميداني(١)، كما انه عليم وخبير بأدق التفاصيل في الفقه الشرعي وهو عدا عن ذلك قادر على الاحتفاظ برباطة جأشه عند مناقشة مسائل من قبيل نظرية الدستور الوضعي على سبيل المثال. وقد دلل منذ البداية على براعة استثنائية في استيعاب المضامين المتباينة لمختلف المقاربات بشأن الدستور العراقي ما بعد صدام، ومن اجل بسط وجهة

(•) محمد باقر بن السيد حيدر بن السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين، ولد بمدينة الكاظمية في العراق ٢٥ أيلول عام ١٩٣٤، وهو فيلسوف ومفكر إسلامي ومؤسس حزب الدعوة في العراق، وقد نشأ يتيما منذ صغره فتكفل به أخوه الأكبر، آية الله السيد إسماعيل الصدر، وكان له دور مهم في جملة من الأعمال والمشاريع الإسلامية منها (جماعة العلماء في النجف الاشرف – وكلية أصول الدين في بغداد وغيرها..) ، أما مؤلفاته شملت العلوم الحوزوية ومؤلفات أخرى منها (فلسفتنا، اقتصادنا، المدرسة الإسلامية، فدك في التاريخ...) ، استشهد في ٩ نيسان ١٩٨٠، على يد المقبور صدام حسين. ينظر: جاسم الشيخ زيني، الدولة في فكر محمد باقر الصدر، مؤسسة البديل للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠٩، ص٢٤. ومحمد رضا النعمان، سنوات المحنة وايام الحصار، ط٢، اسماعيليان، قم، ١٩٩٧، ص٤٢.

(١) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، المصدر السابق، ص٤٥.

نظره استخدم بمهارة الحجج الإسلامية فضلاً عن الحجج الديمقراطية المدنية[١].

وقد كانت فتوى الإمام السيستاني الشهيرة بتاريخ ٢٦ حزيران ٢٠٠٣، والتي وضعت حداً لصمته في الشأن السياسي في رده على استفتاء حول نية الأمريكان تعيين لجنة تتولى كتابة الدستور العراقي الجديد والقيام بتعيين أعضائها. فقد رفض الإمام تشكيل لجنة من سلطة الائتلاف لكتابة الدستور وإصر أن يكون أعضاء اللجنة منتخبين من قبل الشعب، إضافة إلى رفض المرجعية الإقرار بشرعية آلية إقرار قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية دون الاعتراض على النص نفسه، وفي الوقت الذي أبدت فيه المرجعية أربعة عشر ملاحظة مهمة علية، فقد اعترضت المرجعية بقوة على إضافة الفقرة (ج / مادة ١٦)، من القانون والتي تعطي لثلثي سكان ثلاث محافظات حق نقض الدستور، كما انتقدت المرجعية دور مجلس الرئاسة وسلطاته الواسعة[٢].

وكان رد الإمام قوياً: (**إن هذه السلطات (الأمريكان)، ليس لها الحق والتفويض في تعيين أعضاء اللجنة المسؤولة عن كتابة الدستور**)، بل راح بعيداً في اقتراح أفكاره الخاصة بهذا الشأن وهو أن يخضع الدستور بعد الانتهاء من كتابته إلى استفتاء شعبي عام ليتم المصادقة عليه من قبل الشعب[٣].

ونتيجة لضغط المرجعية الدينية والثبات على موقفها، تم الاتفاق على قيام مؤتمر دستوري ينتخب مباشر من قبل الشعب العراقي لإعداد الدستور الدائم للبلاد.

---

(١) ولي نصر،صحوة الشيعة، المصدر السابق، ص١٧٠.

(٢) منتصر العيداني، قيادات الانتقال والتنمية السياسية العراق ولبنان انموذجا ١٩٩٠ – ٢٠١١، المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص٣٩٥.

(٣) نقلاً عن: رايد فيسر، المصدر السابق.

وأكد الإمام على ضرورة التعبير عن الطابع الإسلامي في الدستور الذي يمثل اغلبية الشعب العراقي مع حفظ حقوق الاقليات الدينية، وفي ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٥، اعلن السيد احمد الصافي ممثل الإمام السيستاني، إن المرجع الأعلى أصدر فتوى نصها: (**ان الإمام السيستاني يؤكد تأييده الكبير للمشاركة الشعبية في الاستفتاء على الدستور بـ(نعم)، رغم وجود بعض نقاط الضعف فيه)**، وهو الموقف أعلنته اغلب المراجع الدينية الأخرى[١].

فقد عملت المرجعية على تأسيس دستور يقر ويحفظ للشعب العراقي مصالحهم وحقوقهم السياسية، كما أدركت الحاجة إلى سن تشريعات دستورية هي اقرب بجوهرها إلى تشكيل حكومة سياسية مدنية تقوم على مبدأ التعايش السلمي، لاحتواء التنوع الديني والاثني، وبنفس الوقت نجد أن المرجعية تدعو بقوة وإصرار إلى إشراك الآخرين في صياغة الدستور والاشتراك في العملية السياسية وبناء دورها الصحيح كي لا تهمش[٢]، وبحسب قاعدة أشيعت عن الإمام السيستاني من انه يرى في ايجابية الدستور المهم أن لا تتعارض فقراته مع ثوابت الشريعة بأن يحل حراماً ويحل حلالاً[٣]. ويتضح عبر الشرح الموجز بأن هناك تأثير واضح للمرجعية الدينية ممثلة بالإمام السيستاني في صياغة وتثبيت الدستور بما يتلاءم ولو نسبياً مع الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للعراق.

ثالثاً: المرجعية الدينية والانتخابات

تجمع الرؤى والتحليلات على إن الإمام السيستاني يلعب دوره بإتقان وكفاءة

(١) حامد الخفاف، المصدر السابق، ص (٢٢٢ – ٢٢٨) .

(٢) هالة فتاح وفرانك كاسو، موجز تاريخ العراق ١٩١٤ – ٢٠٠٨، دار المرتضى بغداد، ٢٠٠٨، ص١٥٦.

(٣) نقلاً عن: محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، المصدر السابق، ص (٥١ – ٥٥) .

وان الدور الذي يقوم بـه يتجـاوز ادوار المراجـع الدينيـة التـي سـبقته إذ صـارت الكلمة التي تخرج من مقره محددا أساسيا للخطوات التي تسـير عليهـا الكثـير مـن القوى السياسية علاوة على الملايين من أتباعه وقد تحققت مطالب المرجـع الكبـير بعد اقل من عامين من الاحتلال وقد كان لفتوى المرجع الكبـير الـدور الأكـبر في نجاح الانتخابات البرلمانية في المنطقتين الوسطى والجنوبية[١].

فقد أيد الإمام الانتخابـات والدسـتور، وقـد أوحـت الدعايـة الانتخابيـة في انتخابات ٣٠/ ١/ ٢٠٠٥، بدعم المرجعية لقائمة الائتلاف العراقـي الموحـد عـبر استعمال صور الإمام واسمه في الحملة الانتخابية وما بثه بعض وكلاء المرجعيـة في الجنـوب عـن الـرأي في تأييـد تلـك القائمـة لغـرض تثبيـت حقـوق الـدين[٢]، وفي٣٠/ ١٠/ ٢٠٠٥، توجه ملايين العراقيين إلى صناديق الاقتراع نتيجة اثر فتوى المرجعية التي تؤكد على المشاركة في الانتخابات، ومنذ تلك الفتوى صـار ينظـر إلى الانتخابات على أنها واجب ديني، ودعا الإمـام السيسـتاني إلى الهدنـة بـين مختلـف الأحزاب الشيعية وحثها على الوحدة ضمن الائـتلاف العراقـي الموحـد وكـذلك تركيز جهودها على إثبات قوتها في صناديق الاقتراع[٣].

وبذلك يجب أن ندرك إن المرجعيـة الدينيـة وبالخصـوص مرجعيـه الإمـام السيستاني كان لها الثقل الأكبر في حيازة الأحزاب الشيعية الإسلامية على اغلـب مقاعد البرلمان ونال ٤٨٪ من الأصوات وفاز بـما يقـرب مـن نصـف المقاعـد في

(١) رياض الساري، مقال بعنوان أي دور يلعبه السيستاني، شبكة الاتصالات الدولية، الانترنـت، نشـر بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٧، على الموقع:

www.niqash.or

(٢) منتصر العيداني، المصدر السابق، ص٣٩٦.

(٣) ولي نصر، المصدر السابق، ص١٨٦.

البرلمان وأعلى نسبه أصوات نالها الحزبان الأبرز فيه وهما المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وحزب الدعوة. ومن هنا بات على واشنطن أن تعلم كيف تتعامل مع الزعماء الدينيين الذين اختارهم الشيعة. إلا أن الأداء المتلكئ للبرلمان والحكومة دفع الإمام إلى إعادة النظر في موقفه في الانتخابات اللاحقة، إذ قرر عدم تأييد أي قائمة أو كيان سياسي بعد ذلك في الانتخابات، وبقي دوره حاضراً بقوة فعبر أزمة تشكيل الحكومة الدائمة الأولى ورفض الاكراد مرشح قائمة الائتلاف العراقي الموحد إبراهيم الجعفري رئيساً للحكومة، زار الأخير الإمام للتشاور معه وقدم الإمام نصحه بالمحافظة على تماسك قائمة الائتلاف وعلى أثرها تراجع إبراهيم الجعفري عن إصراره على الترشيح وتم اختيار نوري المالكي بديلا عنه[١].

واصدر الإمام بياناً في ٢٦/ ٢/ ٢٠١١، يؤيد فيه التظاهرات الجماهيرية ويطالب الحكومة بالقضاء على الفساد والامتيازات الكبيرة للمسؤولين، مذكراً الحكومة بانتقاداته المتكررة السابقة، ومحذراً من الاستمرار بهذا النهج، ومطالباً بتحقيق المطالب الجماهيرية[٢].

كما امتنع الإمام السيستاني، عن استقبال أي مسؤول حكومي منذ شهر حزيران ٢٠١١، وفي مقدمتهم قيادات الائتلاف الوطني.من هنا نخلص إلى أن تدخل المرجعية كان يصب في مصلحه العراق وشعبه بشكل اكبر مؤديا في الوقت نفسه إلى تماسك الأحزاب الحاكمة بعضها ببعض في مواجهه أعداء العراق.

---

(١) منتصر العيداني، المصدر نفسه، ص٣٩٧.

(٢) الموقع الرسمي، لمكتب الإمام علي السيستاني، الانترنت على الموقع:
http://www.sistani.org/indrx?p=824163&id=260

رابعاً: المرجعية الدينية و ولاية الفقيه

دار نقاش متزايد حول رأي الإمام السيستاني، من مبدأ الإمام الخميني لحكم العالم الديني (ولاية الفقيه)، المبدأ والنظرية التي تضع جميع شؤون إدارة السلطة السياسية في العالم بيد رجل الدين الأعلم حتى ظهور الإمام الغائب (عجل الله فرجه)، ويقوم هذا العالم بتوجيه الشعب في الشؤون الوقتية والروحانية..الخ، وقد أجاب الإمام السيستاني، على هذا التساؤل عبر إقراره بولاية الفقيه كمفهوم يحمل معنى واسع وحديث، بينما امتنع الإمام الخوئي، عن تقديم مثل هكذا تفسير عام، فبحسب الإمام الخوئي، تنطبق ولاية الفقيه على قانون الأحوال الشخصية فقط، ذات الصلة بالولاية والقيمومية والشؤون غير القانونية (الأمور الحسبية)، إذ يمكن استعمالها لتبين سلطة الولي على القاصرين أي بمفهوم ضيق، أما المفهوم العام الذي يقول السلطة الدينية تنطبق على الشؤون العامة والتي يستند عليها المجتمع الإسلامي، فقد أوضح الإمام عن ارتياحه بفكرة وجود رجل دين واحد يضطلع بمسؤولية جميع المسلمين في العالم[١].

وهذا لا يعبر عن قناعة الإمام السيستاني بتطبيق حكومة ولاية الفقيه في العراق وأكد ذلك عبر الإجابة، عن سؤال حول إمكانية قيام ولاية الفقيه في العراق على غرار ولاية الفقيه في الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟ يجيب الإمام السيستاني: **(أما تشكيل حكومة دينية على أساس ولاية الفقيه المطلقة فليس وارداً مطلقاً، ولكن يفترض بالحكم الجديد أن يحترم الدين الإسلامي الذي هو دين أغلبية الشعب العراقي)**[٢].

---

(١) رايد فيسر، المصدر السابق.

(٢) حامد الخفاف، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٩.

إلا أن موضوع ولاية الفقيه، لم يؤثر بشكل كبير في تدخل الإمام السيستاني في الشأن السياسي العراقي، كما انه لم يشر أبداً بشكل مباشر إلى مفردات (السياسة) أو (الدولة)، عند مناقشة نظرية ولاية الفقيه ولم يذكر أي دور مؤسساتي للولي الفقيه. كما أن المرجعية الدينية وجدت نفسها ليس وحدها في إدارة ملفات العراق الدينية والسياسية والاجتماعية، بل أن هناك خطوط من المراجع أصحاب توجهات فكرية ومناهج ثورية وتجديدية لهم وجود في الساحة الشعبية في العراق، كـ(الإمام الخامنئي، والسيد الحائري، والسيد محمود الهاشمي)، وغيرهم، وهؤلاء لهم ثمة وجود بين طلبة وفضلاء الحوزة في النجف الاشرف، ولهم قواعد جماهيرية تجعل من حوزة النجف الاشرف تدرك متغيرات العقل الإسلامي، وتعالج الأمور بنحو أكثر وسطية[١].

وبذلك نرى ان الإمام السيستاني لم يرغب الارتباط بشكل مباشر في شؤون الدولة والسياسة لتفادي اي ضرر قد يلحق بموقعه ومكانته بصفته الوسيط النافذ والمؤثر الوحيد والمثالي في الشأن السياسي العراقي، فضلاً عن النظام السياسي الذي اعتمد نظاماً ديمقراطياً على النمط الغربي، ما جعل صعوبة تطبيق ولاية الفقيه في العراق، كما ان كثرة المرجعيات في النجف الأشرف على اعتبارها مقر الشيعة والحوزة الدينية في العالم، يجعل صعوبة التفرد في قيادة الحوزة والشيعة في العراق، اضافه الى تركيبة المجتمع العراقي الدينية والاثنية.

(١) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، المصدر السابق، ص٥٣.

الفصل الثاني:

اثر المرجعية الدينيّة على المقاومة الإسلاميّة

كان للفتاوى التي حركت الشيعة والسنة للجهاد ضد الانكليز مطلع القرن العشرين خر دليل على ذلك الأثر، وهكذا التفاف الامة حول مرجعية الإمام (الحكيم)(•)، ومن ثم مرجعيةالصدر الاول، و(الثاني)(••)، بل حتى مرجعية

(•) ولد آية الله محسن الحكيم سنة ١٣٠٦ هـ في مدينة النجف الأشرف في أسرة كريمة الأصل وكان مبجّلا من قبل الجميع لفضله وعلمه، وإحدى الشخصيات اللامعة في تاريخ الشيعة والمذهب وكانت حياته التي خلدها التاريخ حياة مثيرة، وكان من الرجال الكبار الذين جعلوا حياتهم وقفا في خدمة الإسلام والمسلمين، وفي العقد الأخير من عمر السيد الحكيم أراد الإسماعيليون في العراق أن يبدّلوا الضريح المقدس لأبي الفضل ×، وأن يقوموا بعمله حسب أذواقهم وكان هدفهم من ذلك الترويج لمذهبهم والتأثير على شيعة العراق ولما سمع آية الله الحكيم هذا الخبر أعلن بأنه سيقوم بتبديل الضريح بنفسه فأعطى الأوامر لفناني أصفهان الذين أعدّوا بعد مدة ضريحا لمرقد أبي الفضل وتم نقل الضريح من إيران في مراسم من التبجيل والاحترام وبصحبة جماعة كبيرة من الناس إلى العراق وتم وضعه في مكانه، وبسبب التعامل القاسي للبعثيين الذي واجهه السيد الحكيم أصبح طريح فراشه مريضا وقد أخذه محبوه إلى لندن للعلاج ولمّا عاد إلى النجف الأشرف قام النظام البعثي بمنعهم من الالتقاء به وفي يوم الثلاثاء ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ توفي السيد الحكيم عن أربع وثمانين سنة ودفن في مقبرة خاصة بجوار مسجد الهندي في النجف الأشرف. ينظر: موسوعة انصار الحسين، الانترنت على الموقع:

http://www.ansarh.

(••) ولد السيد الشهيد محمد محمّد صادق الصدر عام ١٩٤٣م، في مدينة النجف الاشرف، تخرج من كلية الفقه في دورتها الاولى ١٩٦٤م، باشر بتدريس الفقه الاستدلالي(الخارج) اول مرة عام ١٩٧٨، وقد نشأ سماحته في بيت علم وفضل وزرق العلم منذ صباه بواسطة والده السيد محمد صادق الصدر. تجاوز خطاب الفقيه المكتوب الى خطاب الفقيه المسموع، ومن اهم معالم تجربة السيد الشهيد تمثل في علاقة الامة بالمؤسسة الدينية واكتشاف الاليات والاساليب والطرق الكفيلة بإيجاد علاقة من نوع اخر بينهما، وكانت صلاة الجمعة اكبر الية تواصلية بين الفقيه والمجتمع وبين المؤسسة الدينية والامة، انفتح الشهيد الصدر على جيل الانتفاضة الشعبانية، هذا الجيل الذي قام بأعظم حركة سياسية شعبية في تاريخ العراق المعاصر حين تمكن من اسقاط سلطة النظام في ١٤ محافظة عراقية لمدة ثلاثة اسابيع. ورغم أنّ الصدر نفسه تعرض للاعتقال والتعذيب بسبب اصداره بياناً شديد اللهجة مؤيداً للانتفاضة، وفي عام ١٩٩٩م، استشهد على يد ازلام النظام البعثي. ينظر: مؤسسة =

الإمام الخميني، التيتأثر بها اغلب الشعوب في العالم، ومن اول هذه الشعوب هي الامه الإسلامية في العراق، وخير دليل ما قاله الشهيد الصدر الاول، (ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام)، وهذا ولاء المجتمع الشيعي لأي مرجعية تأثراً وايماناً عابراً للقوميات والجغرافيا والنزاعات القومية. ولوحظ ان خط المرجعية تاريخياً عاش استقلالية عالية مكنته من ان يرسم طريق المقاومة للحفاظ على الامة الإسلامية من جميع المؤامرات التي تهدف التي تشويه صورة الإسلام، وسنحاول خلال هذا المبحث تسليط الضوء على تحديات التي تواجه المرجعية وابرزها التحدي الداعشي، ومواجهة المرجعية للفكر الداعشي، وبروز المقاومة الإسلامية.

= الصدرين للدراسات الاستراتيجية، الانترنت على الموقع:
http://www.alsadrain.com

المبحث الاول
الارهاب وتحديات الدين الإسلامي

عند اندلاع ما اصطلح عليه بالربيع العربي، تقرر من مراكز صناعة القرار دول الغرب وابرزها الولايات المتحدة و(إسرائيل) ركوب موجات الحراك، وتجلى عن ذلك استعمال الحركات التكفيرية والإرهابية، وتأسيس افرع لها في مختلف الدول العربية من قبل اجهزة الاستخبارات دول الغرب وادواتها (العملاء)، لإعادة احياء فكر الخوارج لتكفير مختلف شرائح الشعب الواحد. بهدف تفكيك الدول لعدة أقاليم ودويلات عرقية ومذهبية تؤسس لمشروعية وسيادة (الكيان الصهيوني) كدولة يهودية مهيمنة على منطقة الشرق الاوسط، وقامت هذه الاجهزة الاستخبارية بدعم الحركات التكفيرية وأرسال الارهابيين للدول الإسلامية ودعمهم بالسلاح والمال والغطاء السياسي، تحت غطاء الحرب الاهلية، وهذا ما حصل في سوريه إذ يشترك اكثر من ستين جنسية أجنبية في انجاز مهمة تفكيك الدولة السورية واضعاف محور المقاومة والممانعة، كما تمدد التكفيريين الى العراق ولبنان لإنجاز ذات المهمة نيابة عن قوى الاستكبار العالمي و(الصهيونية)، باستعمال شعارات دينية ومذهبية، فقاموا بقتل رجال الدين والمفكرين من مختلف الاديان والمذاهب دون استثناء، إذ ينشأ الارهاب عندما يستبد شخص ما او جهة بالرأي والقرار دون غيرهم وذلك بإلغاء الرأي الآخر فكراً وممارسة، وتبلغ خطورة الاستبداد بالرأي

عندما يكون مغلفاً بالعوان الديني اي بمعنى مخالفة الرأي تعني مخالفة شرائع السماء لكون ان المستبد يرى بأنه يمتلك كمال الحقيقة الإلهية ومطلقها دون غيره ويحكم بما انزل الله، ومن يختلف معه انما مختلف مع الله، وبالتالي يجب تطبيق شرع الله اما بالتنكيل والنفي او الاعدام. وتعتبر حالة الاستبداد بالرأي ارهابا فكريا، ثم ينتقل الارهاب الى جسدي عندما تمارس اعمال العنف والتصفيات الجسدية للفرد، وقد ابتليت مجتمعاتنا الإسلامية بشكل عام بهذا النوع من التطرف الفكري[١].

في سياق ما تقدم عرض تقرير لهيئة الاستقلال الأمريكي للطاقة لتاريخ القاعدة وربطه بفكر الخوارج بالصورة الآتية: (**للحركة التكفيرية المعاصرة جذور تاريخية تعود بعيداً للوراء. فحركة الخوارج التي ظهرت في القرن الاول للتقويم الإسلامي، اي القرن السابع بعد الميلاد، تماثل مجاميع القاعدة والتكفيريين حديثاً. إذ ارتكب الخوارج افظع المجازر ضد اعدائهم والابرياء على السواء تحديداً المسلمين بناءً على انهم مشركون وكفار، متحججين ببعض الآيات القرآنية على سبيل المثال يقومون بقتل النساء الحوامل وبقر بطونهم بناءً على آية قرآنية حيث يدعي نبي الله نوح ربهُ لإبادة جميع الكفار لأنهُ إذا بقوا في الارض سينجبون كفاراً أمثالهم... معظم حروب الخوارج حدثت اثناء حكم الامام علي عليه السلام... احدهم نجح في اغتيال الإمام اثناء صلاته في مسجد الكوفة**).

ومن يعتقد بأن الحركات التكفيرية المعاصرة هي من مخرجات العوامل المعاصرة كالفقر والنضال السياسي ضد السياسات الغربية، والحراك الوطني،

(١) شيرين هنتر، مستقبل الإسلام والغرب "صدام حضارات ام تعايش سلمي؟"، ترجمة: زينب شوربا، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠٠٢، ص (٥٣ – ٦٤) .

الخ... لن يصل للأدراك الصحيح دون الفهم العميق للتعقيدات التاريخية[١]، ويُعد تنظيم داعش، من احفاد الخوارج في العصر الحديث ويسعى لضرب الدين الإسلامي في اغلب الدول ومنها العراق، وسنحاول التعرف على نشأة وتمدد واهداف داعش في العراق.

اولاً: داعش والتمدد في العراق

لقد بعث الأمريكيون، بعد احتلالهم للعراق، الطائفية والمذهبية من رقادها، واشعلوا نار الفتنة بين قواه الاجتماعية: بين العرب والاكراد والتركمان، وبين الشيعة والسنة. وذهب الآلاف ضحايا هذه الفتنة العمياء، وسعى الأمريكيون بنفوذهم المتعاظم في الشرق الاوسط الى نشر هذه الفتنة فيه، بنشر الخوف من المد الشيعي، والتحذير من خطر الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وحرف النظر عن الخطر الحقيقي المتمثل في (اسرائيل)، واستطاعوا اقناع العديد من قادة الدول في المنطقة وخصوصاً الخليجية بهذه الافكار[٢].

ويتضح يوماً بعد يوم كيف ان التدخل العسكري، الذي وصف في البدء بانه عملية مناهضة للإرهاب، بات يهدد بتفاقم الداء الذي ادعى انه اراد القضاء عليه، فإن احدى عواقب التدخل العسكري الأمريكي – البريطاني في العراق كانت فتح جبهة جديدة للإرهاب الدولي[٣]. ونرى ذلك نفس الموقف بل اشد تصعيداً بعد

(١) مركز الاستقلال الامريكي للطاقة، تاريخ القاعدة، الانترنت على الموقع:
http //www.americenergy indepence.com american energy Independence

(٢) علي محافظة، حركات الاصلاح والتجديد في الوطن العربي والتحديات التي تواجهه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص٢٥٣.

(٣) ريشار لابيفيير، التحول الكبير "بغداد – بيروت"، ترجمة: ميشال كرم، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨، ص٢١٠.

فتح جبهة داعش التكفيري، تعود قوى الشر بقيادة أمريكا تحت مسمى (التحالف الدولي)، لمحاربة داعش، وما هو بالحقيقة الا السماح بتوسع داعش، في العراق والمنطقة، وان التحالف ما هو الا غطاء، لامتداد الجماعات الارهابية، كما كان احتلال العراق فتح الساحة العراقية لتنظيم القاعدة الارهابي، التي افرزت اجيال ابرزها تنظيم داعش، ومن معهم من تنظيمات ارهابية.

فقد تسلل تنظيم القاعدة الى العراق منذ شباط ٢٠٠٢، الى شمال العراق في الاراضي التي يسيطر عليها جماعة (انصار الإسلام)، الكردية الاصولية التي ظلت توفر المأوى والتدريب لجماعات تنظيم القاعدة، وفي آذار ٢٠٠٣، شنت طائرات الولايات المتحدة هجوماً مكثفاً على مواقع التنظيم، وكان ذلك بمثابة اعطائهم الضوء الاخضر بتفعيل نشاطهم الارهابي فبدأوا في التوجه الى بغداد ومناطق غرب العراق، وكان في مقدمة هؤلاء جماعة (جند الشام)، التي كان يقودها ابو مصعب الزرقاوي، وقد اطلق عليها الزرقاوي فيما بعد اسم (جماعة التوحيد والجهاد)، نظراً لدخول معظم كوادر جماعة الجهاد المصرية اليها، وقد انتشروا في المدن التي تخضع لنفوذ عدد من قادة وانصار النظام البعثي، خاصة ضباط الحرس الجمهوري والمخابرات العامة[١].

وفي عام ٢٠٠٤، توحدت مع (جماعة التوحيد والجهاد)، اثنى عشر جماعة متشددة ليشكلوا، مجلس شورى المجاهدين (مصدر القرارات ورسم السياسات العامة للتنظيم)، وقد استفاد ابو مصعب الزرقاوي من اربعة عوامل في سرعة،

(١) عبد الرحيم علي، القاعدة من التنظيم الى الشبكة، كراسات استراتيجية، السنة الخامسة عشر، العدد(١٥٥) ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٣١.

زيادة نفوذ هذا التنظيم في العراق هي[١]:

١ – وجود اعداد كبيرة من المتطوعين العرب في العراق، ممن سمح لهم النظام السابق بالمجيئ وسلحهم، استعداداً لمواجهة الغزو الأمريكي، وقد قررت نسبه منهم البقاء بعد الاحتلال. وفي تلك المرحلة لم تكن اية مجموعة مرشحة وقادرة على تجنيد هذه الاعداد الكبيرة ضمن المعركة الجديدة، غير مجموعة الزرقاوي.

٢ – تسريح الاف من الجيش العراقي السابق، وتفكيك الاجهزة الامنية والعسكرية، ما حدا بنسبة كبيرة منهم بالتوحد تحت لواء القاعدة التكفيري، واغلبهم بعثيين، وضباط كبار ومقربين من النظام المقبور.

٣– توجه المزاج العام للبعض من المكون السني ضد العملية السياسية والحقية الجديدة، لأسباب رئيسية وفي مقدمتها شعور السنة انهم سيخسرون موقعهم التاريخي في السلطة.

٤ – وجود حاضنه اجتماعية في بعض مناطق العراق، واكتسبت قوة متزايدة، وزخماً حركياً، فضلاً عن قدرات عسكرية وخبرات امنية اكبر، بفضل بعض الضباط البعثيين السابقين.

وإثر مقتل الزرقاوي في حزيران ٢٠٠٦، تسلم القيادة ابو عمر المهاجر لحين تأسيس (دولة العراق الإسلامية) التي اعلن عنها في ١٥/ ١١/ ٢٠٠٦، على اساس الهوية السنية، بزعامة ابو عمر البغدادي (حامد داود الزاوي)، الذي قتل في ١٩/ ٤/ ٢٠١٠، فخلفه ابو بكر البغدادي، وفي نهاية عام ٢٠١١[٢].

---

(١) محمد ابو رمان وحسن ابو هنية، الحل الإسلامي في الاردن "الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والامن"، مركز الدراسات الاستراتيجية، الاردن، ٢٠١٢، ص٣٠١.

(٢) بيان تأسيس دولة العراق الإسلامية، على الموقع:

https://nokbah.com/~w3/?53p

اسهم البغدادي بولادة جبهة النصرة بقيادة ابو محمد الجولاني، لتكون فرع القاعدة في سوريا، فغدت خلال بضعت اشهر من ابرز الفصائل المقاتلة في سوريا. وفي ٩/ ٤/ ٢٠١٣، اعلن البغدادي إدماج جبهة النصرة مع دولة العراق الإسلامية، لتصبح "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، بالتزامن مع دفع المزيد من قواته الى الاراضي السورية[١].

إلا أن ابو محمد الجولاني رفض فكرة التوحد معلناً البيعة لأيمن الظواهري زعيم تنظيم القاعدة الارهابي، ففتح باب التقاتل بين التنظيمين "التكفيريين"[٢]، بعد صعود الخلاف الى السطح، بدأت داعش تنفيذ خطة طموحة أدت الى طرد مسلحي النصرة، ومعها فصائل مقاتلة سورية اخرى[٣].

وفي العراق تغلغل تنظيم داعش في التظاهرات التي قام بها الناس في غرب العراق في محافظة الانبار تحديداً والحويجة والموصل وكركوك وديالى وصلاح الدين وغيرها من المناطق التي تتميز بأغلبية سنية في العراق، وكانت ابرز مطالب المتظاهرين، الغاء المادة (٤) ارهاب، وتعديل قانون المساءلة والعدالة، وكانت تلك المطالب دليل واضح على تسيس هذا التظاهرات من قبل البعثيين والتنظيمات

(١) حوار مع: لارون لوند، الفرق بين تنظيم القاعدة و"تنظيم الدولة الإسلامية"، في العراق وسوريا داعش بين البغدادي والظواهري، صراع الاجيال السلفية الجهادية، ترجمة: رائد الباش، قنطرة، الانترنت على الموقع:

http://ar.qantara.de/content

(٢) لينا الخطيب، صعود جبهة النصرة يغير قواعد اللعبة في سورية، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، ٢٤ اذار ٢٠١٥.

وكذلك: محمد ابو رمان وحسن ابو هنية، المصدر السابق، ص٣١٠.

(٣) هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، ج١، المعهد الإسكندنافي لحقوق الإنسان، ٢٠١٢، ص١١.

الارهابية بقيادة داعش، على اساس ان الاحتجاجات حق كفله الدستور شرط ان تكون سلمية، مما وفرت تلك التظاهرات ارض خصبة لتمدد التنظيمات الارهابية فضلاً عن انتشار معلومات تشير إلى فضائح مالية، وقضايا الفساد في مؤسسات الدولة افقياً وعمودياً، فضلاً عن اقتراب الانتخابات البرلمانية، التي استغلها المعارضين من النخب السياسية، الذين دخلوا الى ساحات الاعتصام، مما ادى الى انحراف التظاهرات من المطالبة بإشباع حاجات الامن الانساني، الى مقدمات لإشعال حرب طائفية برعاية جهات خارجية[1].

فضلاً عن اقتحام التظاهرات من قبل رجال دين متطرفين وتنظيمات القاعدة وداعش، وترقية هذا التظاهرات الى قطع الطرق الدولية والاستيلاء على المؤسسات الحكومية، وفرض قوانين القاعدة وداعش التكفيرية، وعلى اثر قيام قوات الامن العراقية بالهجوم على مقرات داعش ومقرات مجاميعها في الصحراء الغربية، وبالتحديد في منطقة وادي حوران، وملاحقة عناصر هذا التنظيم في عموم صحارى العراق، والاعلان بان العمليات العسكرية لن تنتهي الا بعد الاجهاز على التنظيم او طرده من العراق تماماً.

اتضحت الصورة الحقيقية للمخطط المرسوم، اذ جرى تحشيد عشائري وديني ومكوناتي بدعم جماعات وهابية متطرفة، وعد الجيش ليس جيشاً وطنياً، حتى اطلقت فتاوى من شيوخ دين ينتمون الى المذهب الوهابي (الجهادي)، ضد كل القوى الامنية والجيش والمؤسسات والمدارس والجامعات...الخ، وصارت

(١) مجلة العرب الدولية، بعد عشر سنوات من سقوط صدام العراق الى اين؟، نشرت بتاريخ ٢٠١٤/٨/١٢، على الموقع:

http://www.majalla.com

منصات الاعتصام مكاناً للتحريض والشحن الطائفي، وعبر هذه الاجواء حذرت المرجعية الدينية بقيادة الإمام السيستاني، من خطورة الوضع، ودعا الإمام، الى اطفاء نار الفتنة الطائفية وعدم فسح المجال لقوى الظلام من التنظيمات الارهابية (داعش والقاعدة)، بالتواجد بين صفوف المعتصمين وبث السموم بينهم وتلقينهم ثقافة الكره والتكفير، الا ان الوضع تفاقم مع تحول ساحة الاعتصام مركزاً ومعسكراً ارهابياً معلناً، فقد جرى تجنيد الكثير من الاشخاص فيه، بجانب التواجد البشري بكميات كبيرة وصولاً الى استثمارها من قبل تنظيم القاعدة للتدريب العسكري اولي، وبدأت المواجهة سياسياً عبر تهديد الحكومة صراحة، عبر التعاون مع التنظيمات الارهابية: وبأن الحكومة والنظام السياسي ومؤسسات الدولة، ستواجه معارك شرسة اذا لم يتم الاذعان لجميع المطالب التي تصب في خدمة السياسيين الذين عاضدوا القاعدة وداعش[١].

وراحت اعلام التنظيمات الارهابية تتعانق مع العلم العراقي الملغي بقانون اصدره البرلمان العراقي ومع شعارات مثل (قادمون يا بغداد)، وشعارات تكفيرية تصف المكون الشيعي الذي يمثل اكثرية الشعب العراقي بالصفويين والكفار وغيرها. حتى وصل الامر الى اعلان الفلوجة ولاية إسلامية لداعش، وهو ما يمثل تحدي أمني واضح وتهديد لسيادة العراق، خصوصاً ان تواجد هذه المجاميع ومعسكراتها في الصحراء الممتدة من الحدود العراقية – السعودية مروراً بمحافظة الانبار (الرمادي)، وانتهاءً بالموصل وهو شريط جغرافي يرتبط بشكل مباشر مع الاردن وسوريا، إضافة الى وجود حواضن في المدن والقرى في الانبار.

(١) مجموعة مؤلفين، تمدد القاعدة وافراخها: الحواضن المأزومة، سلسلة حواريات حمورابي، العدد (١) ، بغداد، تشرين الاول ٢٠١٣، ص١٢.

وكان ذلك على اساس استراتيجية اعلنها ابو بكر البغدادي، الذي اكد في ان داعش لن يستطيع خوض حرب شاملة بالكيفية التي كان عليها في السنوات ٢٠٠٤ – ٢٠٠٧، بل انه سيلجأ الى عمليات نوعية عبر ما تسميه الوثيقة التي اعلنها (سياسة الاستهداف وتكسير العظام)، وهذه الوثيقة تركز على المرتدين، بدلاً من الأمريكان، الذين تسميهم (الصليبيين)، ودعا البغدادي، الى تأسيس (مجلس الصحوة الجهادية)، بالتحالف مع كبار رموز العشائر في المناطق الغربية، كما دعا الى ضرورة استعادة السيطرة والنفوذ في المناطق التي كانت تسير عليها داعش، او اسلافها، خلال ٢٠٠٤–٢٠٠٨. واعلن عن اطلاق وثيقة (هدم الاسوار)، التي انتهت بسقوط الموصل، ومن اهم الاسباب التي ادت الى سقوط الموصل والانهيار الامني في غرب العراق مايلي[١]:

١ – استعادة المناطق التي انسحبت منها التنظيمات الارهابية.

٢ – محاربة الحكومة العراقيةالتي يصفها تنظيم داعش بـ(الصفوية).

٣– تحرير اسرى المسلحين، فقد شهدت مرحلة ما بعد اعلان وثيقة "هدم الاسوار"، سلسلة من العمليات النوعية، ركز الاساسي منها على اقتحام السجون التي تظم معتقلي التنظيم ومحاولة تهريبهم، وقد توجه هذه المحاولات باقتحام سجني ابي غريب والتاجي، اللذين يؤويان سجناء من تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام داعش، في ٢٣ تموز ٢٠١٣، ما ادى الى تهريب وفرار اكثر من ٦٠٠ عنصر من تنظيم داعش، بعضهم قادة كبار محكوم عليهم بالإعدام، وقد عدت داعش، هذه العملية خاتمة حملة (هدم الاسوار).

---

(١) اوراق ونقاشات مؤتمر: صعود الراديكالية الدينية في العالم العربي، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان، ٢٠١٤، ص٦٧.

ثانياً: سقوط الموصل والانهيار الامني

اعلن تنظيم داعش، عن خطة جديدة تهدف الى السيطرة المكانية على المحافظات السنية في العراق، والتمدد والسيطرة على المحافظات السورية، وقد اطلق التنظيم على الخطة الجديدة، اسم (حصاد الاجناد)، في ٢٩ تموز ٢٠١٣، وعمل التنظيم على استنهاض الخلايا النائمة والحواضن في المناطق السنية وبدأت على شكل مظاهرات معارضة لحكومة المالكي، في الحويجة بمحافظة كركوك في ٢٣ نيسان ٢٠١٣، وقبل احداث الحويجة مظاهرات فلوجة بتاريخ ٢٥ كانون الثاني، وفي الموصل في آذار٢٠١٤، واعلنت الولايات المتحدة دعمها للحكومة العراقية، واستغلت الولايات المتحدة هذا الامر من اجل تأسيس قواعد عسكرية بحجة محاربة والتصدي لتنظيم داعش[١].

الظريف في الامران إدورد سنودن الأمريكي، المتعاقد السابق لدى وكالة المخابرات المركزية CIA، يشير الى ان وكالة الامن القومي الأمريكي وبالتعاون مع نظيرتها البريطانية M١٦، والموساد (الإسرائيلي)، مهدت لظهور داعش، والهدف بحسب موقع The Intercept، هو استقطاب المتطرفين في مكان واحد عملية يرمز لها بعش الدبابير، وذلك لرفع الشعارات الإسلامية المتطرفة، والهدف هو خلق عدو قريب موجه ضد الدول الإسلامية نفسها، وليس ضد (إسرائيل)، بحسب وثائق سنودن، الذي اشار الى ان تدريب البغدادي تم على يد تلك الجهات وبخاصة الموساد[٢].

---

(١) محمد خواجه، داعش منابع واساليب وتاثيرات، شؤون الاوسط، العدد (١٤٩) ، خريف ٢٠١٤، ص٨٥.

(٢) نقلاً عن: عبد الحسين شعبان، داعش واخواتها واعادة تدول المسالة العراقية، مجلة حمورابي، العدد العاشر، السنة الثالثة، بغداد، تموز٢٠١٤، ص٣٨.

الامر الـذي تفـاقم بدايـة كـانون الثـاني ٢٠١٤، وأسـس داعـش، "مجـالس عسكرية سنية"، التـي بـدأت عملهـا الارهـابي في سـاحات الاعتصـام في الانبـار وفلوجة، وتتكون هذه المجالس من: البعثيـين مـن كبـار ضـباط الجـيش العراقـي السابق، عناصر عشائرية مسلحة، الجيش الإسلامي، حماس العراق، كتائـب ثـورة العشرين، جيش المجاهدين، انصار السنة، جيش الطريقة النقشـبندية، بقيـادة ابـو بكر البغدادي، وتقدم داعش كرأس حربة[١]، وهـذا مـا أكـده الخبـير في الشـؤون الإسلامية رومان كاييه من (المعهـد الفرنـسي للـشرق الاوسـط)، ان اغلـب قـادة داعش، العسكريين في سوريا والعراق هم عراقيين، ويبلغ عددهم حسب تشـارلز ليستر الباحث في مركز "بروكينغـز"، في سـوريا مـا بـين سـتة وسـبعة الآلاف وفي العراق ما بين خمسة وستة الآلاف[٢].

وبعد المواجهة مـع القـوات الامنيـة والجـيش العراقـي استكشـاف داعـش، قدرات هذا القوات الامنية وعدم قدرتها على الفعـل وانهيـار معنويـات جنودهـا. استيقظ الجميع فجر الثلاثاء ١٠ حزيران ٢٠١٤، على واقع صدمة سقوط الموصـل في محافظة نينوى، على يد داعش، وبات يتحدث عن دولة حقيقيـة في حيـز العـوالم الواقعية، حتى ظهر الناطق باسم داعش، ابو محمـد العـدناني، في اليـوم التـالي ١١ حزيران، في تسجيل صـوتي بعنـوان: (**مـا اصـابك مـن حسـنه فمـن الله**)، مهـدداً بالزحف على بغداد، وبلهجة طائفية قائلاً: (**ان بيننا تصفية للحسـاب ثقيـل طويـل لن يكون في سامراء او بغداد وانما في كربلاء**).

---

(١) حسن ابو هنية ومحمد سلميان ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية "الازمـة السـنية والصـراع علـى الجهادية العالمية"، مؤسسة فريدريش ايرث، عمان، ٢٠١٥، ص (١٢٠ –١٣٠) .

(٢) نقلاً عن: النهار وكالات، من هي داعش، نشر بتاريخ ١٠ حزيران ٢٠١٤، الانترنت على الموقع: http://www.annahar.com

وفي ٢٩ حزيران ٢٠١٤، بث التنظيم شريطاً مصوراً بعنوان كسر الحدود، يظهر آليات داعش وهي تزيل السواتر بين الحدود العراقية والسورية، والوقت الذي كان فيه الشعب يعيش صدمة سقوط مساحات شاسعة من العراق، بيد داعش، ظهر العدناني في نفس اليوم معلناً، تنصيب ابو بكر البغدادي (ابراهيم عواد البدري)، خليفة للمسلمين. ولم يقتصر الامر الى الاعلان فقط بل فرضه على القوى والجماعات كافة، فبإعلان الخلافة صار واجباً على المسلمين مبايعة ونصرة الخليفة[١].

كما اصدر تنظيم داعش، في تموز ٢٠١٤، اوامر الى اهالي مدينة الموصل اما باعتناق الإسلام الذي يدعونه، او مغادرة المدينة، وجعلوا الموصل لأول مرة في تاريخها، خالية من طائفة ساهمت في تشكيل هويتها على مدى قرون، وتقوم الاعتداءات العنيفة من قتل وتهجير لسائر الاقليات المقيمة في سهل نينوى على وجه الاخص – بما في ذلك اليزيديين والتركمان والشبك والشيعة – بتقويض الهيكل الاخلاقي والثقافي لمنطقة لطالما اعتزت بتعدديتها[٢].

وكان من اهم الاسباب التي ادت الى سرعة تقدم داعش، هو تفكك سوريا والعراق، ورغبة بعض الرموز السياسية والعشائرية في المناطق الغربية في التحالف حتى مع "الخلافة"، لمواجهة الحكومة التي يعتبرونها شيعية، وفي الايام التالية ومع انهيار القوات الامنية وانسحابها بالكامل، تمكن داعش، من الاستيلاء على اربعة

(١) محمد ابو رمان، داعش الظاهرة والحقيقة، محاضرة في الاردن بتاريخ ٢٠١٤/٩/١، على الموقع:
http://www.judran.net/?p=2632

(٢) مهى يحى، ازمة العراق الوجودية: الطائفية مجرد جزء من المشكلة، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، مقال نشر بتاريخ: ٦ تشرين الثاني ٢٠١٤، على الموقع:
http://carnegie-mec.org/2015/07/08/ar-60622/id3m

فرق عسكرية ومخازن السلاح، وبدأ بالتوسع والسيطرة على مناطق ومدن محافظة الانبار غربي العراق وعلى مدينة القائم، وعلى بلدتي راوه وعانه غرب مدينة الرمادي، إضافة الى السيطرة على منفذ ربيعة الحدودي الرسمي مع سوريا بعد انسحاب القوات الأمنية، لصالح البيشمركة الكردية، كما سيطر داعش على مركز مدينة تكريت مركز محافظة صلاح الدين، ومصفى بيجي، وتلعفر وبلدتي الضلوعية والمعتصم (على بعد ٩٠ كم شمال بغداد)، الى جانب مناطق عراقية اخرى، كما سيطر البيشمركة على كركوك. وبهذا صار العراق على شفا حفرة من السقوط في يد داعش، الذي يسعى الى هدم المراقد المقدسة وانهاء الشيعة من الوجود على انهم كفرة، وقتلهم اولى من قتل ومحاربة (إسرائيل).

المبحث الثاني
فتوى الجهاد للمرجعية الدينية

أولاً: بيان المرجعية حول التطورات الاخيرة في محافظة نينوى

خلال سقوط مناطق واسعة من محافظة نينوى، اصدرت المرجعية الدينية بتاريخ ١١/ ٨/ ١٤٣٥هـ الموافق ١٠/ ٦/ ٢٠١٤، بياناً حول التطورات الامنية الاخيرة في المحافظة: بس الله الرحمن الرحيم "تتابع المرجعية الدينية العليا بقلق بالغ التطورات الامنية الاخيرة في محافظة نينوى والمناطق المجاورة لها، وهي إذ تسدد على الحكومة العراقية وسائر القيادات السياسية في البلد ضرورة توحيد كلمتها وتعزيز جهودها في سبيل الوقوف بوجه الارهابيين وتوفير الحماية للمواطنين من شرورهم، تؤكد على دعمها واسنادها لأبنائها في القوات المسلحة وتحثهم على الصبر والثبات في مواجهة المعتدين. رحم الله شهداءهم الابرار ومن على جرحاهم بالشفاء العاجل إنه سميع مجيب[1]".

ثانياً: فتوى الوجوب الكفائي ضد التنظيمات الإرهابية (داعش)

ما ورد في خطبة الجمعة للمرجعية الدينية على لسان ممثلها في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي، في ١٤ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق ١٣/ ٦/ ٢٠١٤،

(١) بيان صادر من مكتب الإمام السيستاني، على الموقع:
http://www.sistani.org/arabic/archive/24918/

بعد سيطرت داعش والتمدد في محافظة نينوى وصلاح الدين وإعلانها انها تستهدف بقية المحافظات. قال الشيخ الكربلائي في خطبة صلاة الجمعة الثانية من الصحن الحسيني الشريف ما يأتي:

ان العراق وشعبه يواجه تحدياً كبيراً وخطراً عظيماً وان الارهابيين لا يهدفون الى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط بل صرحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الاشرف، فهم يستهدفون كل العراقيين وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فأن مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع ولا يختص بطائفةٍ او بطرفٍ دون آخر.

وأكد الكربلائي: ان التحدي وان كان كبيراً إلا ان الشعب العراقي الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام وتحمل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة أكبر من هذه التحديات والمخاطر.

وأضاف الكربلائي: أنه لايجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف أن يدبَ الخوفُ والاحباطُ في نفسِ أيِّ واحدٍ منهم، بل لابد أن يكون ذلك حافزاً لنا للمزيد من العطاء في سبيل حفظ بلدنا ومقدساتنا. ودعا الكربلائي القيادات السياسية الى ترك الاختلاف والتناحر ولاسيما خلال هذه الفترة العصيبة وحثّهم على توحيد مواقفهم ودعمهم واسنادهم للقوات المسلحة ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات، موضحا انهم (القيادات السياسية)، أمام مسؤولية تاريخية ووطنية وشرعية كبيرة.

واضاف الكربلائي: اندفاع أبنائنا في القوات المسلحة وسائر الأجهزة الامنية

هو دفاع مقدس، ويتأكد ذلك حينما يتضح أن منهج هؤلاء الارهابيين المعتدين هو منهج ظلامي بعيد عن روح الإسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام ويعتمد العنف وسفك الدماء وإثارة الاحتراب الطائفي وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق والدول الأخرى.

وخاطب الكربلائي ابناء القوات المسلحة قائلاً: اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمات العراق ووحدته وحفظ الأمن للمواطنين وصيانة المقدسات من الهتك ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم وشعبه الجريح. ثم قال الكربلائي:

وفي الوقت الذي تؤكد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها واسنادها لكم فأنها تحثكم على التحلي بالشجاعة والبسالة والثبات والصبر وتؤكد على إن من يضحي بنفسه منكم في سبيل الدفاع عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى. وأضاف:

المطلوب أن يحث الأبُّ ابنه والأمُّ ابنها والزوجة زوجها على الصمود والثبات دفاعاً عن حرمات هذا البلد ومواطنيه. وتابع قائلاً:

إن طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن وأهله وأعراض مواطنيه وهذا الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنه إذا تصدى له من بهم الكفاية بحيث يتحقق الغرض وهو حفظ العراق وشعبه ومقدساته يسقط عن الباقين.

ثم قال:

ومن هنا فان المواطنين الذين يتمكنون من حمل السلاح ومقاتلة الارهابيين

دفاعاً عن بلدهم وشعبهم ومقدساتهم عليهم التطوع للانخراط في القوات الأمنية.

واختتم ممثل المرجع السيستاني كلامه بقوله:

إن الكثير من الضباط والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع والصمود وتقديم التضحيات فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً لينالوا استحقاقهم من الثناء والشكر وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني الملقى على عاتقهم.

ثالثاً: توضيح فتوى الوجوب الكفائي ضد التنظيمات الارهابية (داعش)

نصّ ما ورد بشأن الأوضاع الراهنة في العراق في خطبة الجمعة التي ألقاها السيد أحمد الصافي ممثّل المرجعية الدينية، في يوم٢١ / شعبان/ ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠/ حزيران/ ٢٠١٤، في الجمعة الماضية دعت المرجعية الدينية العليا إلى التطوّع للإنخراط في القوات الأمنية للدفاع عن العراق في ظلّ أوضاع صعبة يمرّ بها البلد وهنا عدّة نقاط ينبغي بيانها:

النقطة الأولى:

إنّ هذه الدعوة كانت موجهة إلى جميع المواطنين من غير اختصاص بطائفةٍ دون أخرى، إذ كان الهدف منها هو الاستعداد والتهيؤ لمواجهة الجماعة التكفيرية المسمّاة بداعش التي أصبح لها اليد العليا والحضور الأقوى فيما يجري في عدّة محافظات، وقد أعلنت بكل صراحة ووضوح أنها تستهدف بقيّة المحافظات العراقية حتّى مثل النجف الأشرف وكربلاء المقدسة كما أعلنت بكلّ صراحة أنها

تستهدف كلما تصل إليه يدها من مراقد الأنبياء والأئمة والصحابة والصالحين فضلاً عن معابد غير المسلمين من الكنائس وغيرها، فهي إذاً تستهدف مقدّسات جميع العراقيين بلا اختلاف بين أديانهم ومذاهبهم كما تستهدف بالقتل والتنكيل كل من لا يوافقها في الرأي ولا يخضع لسلطتها حتّى من يشترك معها في الدين والمذهب.

هذه الجماعة التكفيرية بلاءٌ عظيمٌ ابتليت به منطقتنا والدعوة إلى التطوّع كانت بهدف حثّ الشعب العراقي بجميع مكوّناته وطوائفه على مقابلة هذه الجماعة التي ان لم تتم اليوم مواجهتها وطردها من العراق فسيندم الجميع على ترك ذلك غداً ولا ينفع الندم عندئذٍ.

ولم تكن للدعوة إلى التطوع أي منطلق طائفي ولايُمكن أن تكون كذلك، فإنّ المرجعية الدينية قد برهنت خلال السنوات الماضية وفي أشد الظروف قساوةً أنها بعيدة كل البعد عن أيّ ممارسةٍ طائفيةٍ وهي صاحبة المقولة الشهيرة عن أهل السنّة (لا تقولوا اخواننا بل قولوا أنفسنا) مؤكدةً مراراً وتكراراً على جميع السياسيين ومن بيدهم الأمر ضرورة أن تُراعى حقوق كافّة العراقيين من جميع الطوائف والمكوّنات على قدم المساواة، ولا يُمكن في حالٍ من الأحوال أن تحرّض المرجعية على الإحتراب بين أبناء الشعب الواحد بل هي تحثّ الجميع على العمل لشدّ أواصر الألفة والمحبّة بينهم وتوحيد كل متهم في مواجهة التكفير بين الغرباء.

النقطة الثانية:

إنّ دعوة المرجعية الدينية إنّ ما كانت للانخراط في القوّات الأمنية الرسمية وليس لتشكيل مليشيات مسلّحة خارج إطار القانون، فإنّ موقفها المبدئي من

ضرورة حصر السلاح بيد الحكومة واضحٌ ومنذ سقوط النظام السابق فلا يتوّهم أحدٌ أنّها تؤيّد أي تنظيم مسلّح غير مرخّص فيه بموجب القانون.

وعلى الجهات ذات العلاقة أن تمنع المظاهر المسلّحة غير القانونية وأن تُبادر إلى تنظيم عمليّة التطوّع وتُعلن عن ضوابط محدّدة لمن تحتاج إليهم القوّات المسلّحة والأجهزة الأمنية الأخرى حتّى تتضح الصورة للمواطنين الراغبين في التطوّع فلا يزدحم على مراكز التطوّع الاّ من تتوفّر فيه الشروط.

والمرجعية الدينية إذ توجّه بالغ شكرها وتقديرها لمآت الآلاف من المواطنين الأعزّاء الذين استجابوا لدعوتها وراجعوا مراكز التطوّع في مختلف أنحاء العراق خلالال أسبوع المنصرم فإنها تأسف عما حصل للكثير منهم من الأذى نتيجة عدم توفر الاستعدادات الكافية لقبول تطوّعهم وهي تأمل أن تتحسّن الأمور في المستقبل القريب.

النقطة الثالثة:

إنّ المحكمة الاتحاديّة قد صادقت على نتائج الانتخابات النيابية وهناك توقيتات دستورية لانعقاد مجلس النواب الجديد واختيار رئيسه ورئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء وتشكيل الحكومة الجديدة، ومن المهم جدّاً الالتزام بهذه التوقيتات وعدم تجاوزها، كما أنّ من الضروري أن تتحاور الكتل الفائزة ليتمخّض عن ذلك تشكيل حكومة فاعلة تحظى بقبولٍ وطنيٍ واسعٍ تتدارك الأخطاء السابقة وتفتح آفاقاً جديدةً أمام جميع العراقيين لمستقبلٍ أفضل.

النقطة الرابعة:

إنّ الأوضاع الراهنة تحتّم على العراقيين مزيداً من التكاتف والتلاحم فيما

بينهم، ومن هذا المنطلق يتعيّن التعاون في التخفيف من معاناة النازحين والمهجّرين وإيصال المساعدات الضرورية إليهم كما يتعيّن على تجّار المواد الغذائيـة وغيرهـا ممّـا يحتـاج إليهـا عامّـة الشـعب أن يراعـوا الإنصـاف ولا يعمـدوا إلى رفـع الأسـعار ولايحتكروا الأطعمة التي تشكّل قوت الناس فـإنّ الاحتكـار بالإضـافة إلى كونـه غير جائز شرعاً ممّا لاينسجم مع مكارم أخلاق العراقيين.

الفصل الثالث:

بروز الحشد الشعبي وانتصار المرجعيّة الدينيّة

لقد قامت المرجعية الدينية بتعبئة الشعب العراقي ضد الاحتلال عام ٢٠٠٣، وهذا الموقف من المرجعية الدينية ضد العدوان الخارجي للعراق يعيد إلى الأذهان تلك المواقف التي اتخذها فقهاء ورجال الدين الشيعة خصوصاً في بداية الاحتلال البريطاني للعراق في العام ١٩١٤، فأنهم على الرغم من السياسة الطائفية التي كانت تتبع ضدهم من العثمانيين الذين يسيطرون على العراق، قد لبوا طلب العثمانيين وتقدموا إلى الصفوف الأمامية في البصرة لمقاتلة البريطانيين وإما بعد سقوط العراق بيد البريطانيين فأنهم لجئوا إلى المواجهة المسلحة حينما تأكد لهم بان الأسلوب السلمي فشل في إخراج المحتل من العراق ونفس الشيء يتكرر اليوم فالشعب العراقي الذين أنهكته الحروب المتواصلة والمتتالية التي زجه بها النظام السابق قد أنهكته وخارت قواه وجمدت إمكانياته.

أما دور المرجعية الدينية بعد الحرب فقد وجدت نفسها إمام أمر واقع إلا وهو الاحتلال، فانتهجت السياسة السلمية في مواجهة الاحتلال إيمانا منها بعدم التكافؤ في مواجهة الترسانة العسكرية محتفظة في نفس الوقت بهيبتها وقوتها فهي لم تسمح باللقاء المباشر مع المحتلين أبدا رغم المطالبات بذلك من قوات الاحتلال وهي لم تصدر فتوى تدين بتا بشكل مباشر عمليات المقاومة التي تستهدف قوات الاحتلال إذ احتفظت لنفسها بقوة ردع تكمن في الفتوى الجهادية وهذه الفتوى لو صدرت عن المرجعية الدينية فإنها بلا شك لها قوة معنوية يصعب قياسها إذ أنها السلاح الأقوى بيد المرجعية الدينية التي تحتفظ به وهي على يقين بأنه سوف يقلب المعادلة لصالحها، وأدركت المرجعية ان التعامل بدبلوماسية ومرونة مع المحتل يؤدي الى

الخروج بالعراق الى الاستقلال واعادة السيادة وهذا ما حققته المرجعية كما اشرنا بدورها في كافة الاصعدة السياسية والاجتماعية..ألخ، ورغم ذلك احتفظت المرجعية بالمقاومة الإسلامية، عن طريق عدم اصدار فتوى تمنع مقاومة المحتل، وبعد ١٠/ ٦/ ٢٠١٤، أيقنت المرجعية، ان داعش أكثر من وجه لعملة واحدة، فهو يسعى لتشويه الدين الإسلامي وأزالت المراقد المقدسة واستهداف النسيج الاجتماعي للشعب العراقي من جهة، واخترق بعض المناطق الغربية والسيطرة على سكانها عبر الغزو الفكري لزرع الفتنة بين ابناء الشعب الواحد، وفي الوقت ذاته داعش غطاء يسمح بتمدد الكيان (الصهيوني) ويعزز الوجود الأمريكي في المنطقة. فأعلنت فتوى الجهاد الكفائي، التي اعطت وجهاً شرعياً وصريحاً للمقاومة الإسلامية، والتي انتجت بروز الحشد الشعبي، وبذلك حققت المرجعية انتصاراً تاريخياً اعاد ليس للعراق مكانته بل للأمة الإسلامية، وكذلك كَشَفَت جميع مخططات داعش. وسنحاول في هذا المبحث دراسة بروز الحشد الشعبي ودوره، إضافة الى دراسة نماذج من تشكيلات الحشد الشعبي وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من معرفة ابرز مقومات المرجعية الدينية التي ادت الى بروز الحشد الشعبي[١]:

١ – ان رجال الدين يحظون بتقدير العامة من الناس واحترامها، وعلى وجه التحديد، اولئك الذين ينتمون الى سلالة الرسول الكريم عليه السلام. اذ يطلق عليهم في العراق لقب (السادة)، ولأن هؤلاء يحظون بالاحترام والتقدير فان عامة الناس تتوجه اليهم، بقصد النصيحة والارشاد في المسائل الشرعية التي لم يجدوا حلولاً مناسبة لها.

---

(١) محمود شمال حسن، مرجعيات الجماعات "المرجعيات واثرها في تقرير توجهات الافراد"، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص٥٤.

٢- ان المرجعية الدينية بوصفها مؤسسة فقهية اثرت في الشعب تأثيرا بالغاً، وذلك بإصدار الفتاوى التي تقرر بموجبها موقفها من القضايا السياسية والاجتماعية والشرعية التي تشغل اهتمام الرأي العام العراقي، فضلاً عن مهمتها في ميدان التنظير الفقهي واعداد المراجع من المجتهدين، نقول، وبسبب هذا التأثير في الشعب صارت المرجعية في النجف الاشرف متميزة عن المرجعيات الدينة عن البلدان الإسلامية والدليل على ذلك ان المرجعية اذا قالت في مسألة معينة فان الافراد على مختلف فئاتهم الاجتماعية والثقافية يستجيبون لها، حتى اولئك الذين عرف عنهم انهم اقل التزاماً من الناحية الدينية، وهذا يرجع الى سببين: فأما الاول فهو يعود الى ان المرجعية الدينية تمكنه من تأسيس تقاليد مرجعية راسخة، تمتد الى مئات السنين وهذه التقاليد ساعدت المرجعية على نشر فكرها بين عامة الناس، ولاسيما اف٥راد المذهب الشيعي على وجه التحديد. واما السبب الثاني، فهو يعود الى المجتمع العراقي، يتمتع بمقومات الاستجابة للمرجعية الدينية، بدليل، ان النسبة الكبيرة منه، تحرص على اداء الشعائر الدينية في المناسبات المختلفة. وهذا يدل دلالة قاطعة، ان استجابة الافراد للمرجعية الدينية، اشد واقوى من استجابتهم للمرجعيات الاخرى.

٣- ومن الاسباب التي جعلت المرجعية الدينية مؤثرة في الشعب العراقي، ان لها موقفاً واضحاً من الازمات والحروب التي مرت على الشعب العراقي. اذ لم تكن منعزلة عن الناس، ولم تكن كذلك ملتزمة بحدود الدرس الفقهي او بحدود الفتوى، وانما كانت مرجعية لها تأثير فعال في تقرير توجيهات الناس. وتأكد ذلك عبر موقفها الواضح والصريح من الاوضاع السياسية والاجتماعية.. الخ بعد عام ٢٠٠٣، فنجد ان المرجعية الدينية اخذت تدعوا كافة الاطراف، بعد ان شهد

العراق انفلاتاً امنياً بعد انهيار السلطة السياسية الاستبدادية ودخول الاحتلال الأمريكي، الى المحافظة على الوحدة الوطنية ونبذ الثأر والدعوة الى نشر الامن والسلام في ارجاء العراق، فضلاً عن اصدار الفتاوى التي تحرم قتل المسؤولين من رجال السلطة السابقة، وذلك لتقليل العنف الحاد بين ابناء الشعب، وفي الوقت نفسه تقليل انتهاك الحرمات. وقد شهد العراق اثر تدخل المرجعية استقراراً نسبياً، شهده الكثير من المواطنين من بغداد ومحافظات الجنوب.

٤- لعل تكريم الرسول الكريم للعلماء والفقهاء من المجتهدين، ودعوته لتسليمهم قيادة الأمة الإسلامية، يعد من الاسباب التي جعلت المرجعية الدينية مؤثرة في الشعب العراقي.

المبحث الاول
بروز الحشد الشعبي

تشير الدلائل والشواهد الى ان المرجعية الدينية لها مكانة في الشعب العراقي، وتعد من القوى الثقافية – الاجتماعية المؤثرة في توجهات الافراد، بل ان تأثيرها في تقرير توجهات الافراد، يكاد يغلب تأثير المرجعيات الاخرى (مرجعيات عشائرية، اثنية، حزبية)، وهذا التأثير، لم يكن وليد اللحظة الراهنة، وانما يرجع الى الحقبة التي انتشر فيها الإسلام، مروراً بالدول التي تعاقبت على حكم العراق، وانتهاءً بالمرحلة التي نعيشها. إذ كان للمرجعية الدينية، الدور الفعال في المسائل السياسية والاجتماعية، الى جانب الدور الفعال في الارشاد الشرعي، وليس ادل على ذلك سوى الوضع الامني المتهور بعد سقوط النظام السابق. فلقد عمدت المرجعية الدينية الى دعوة الافراد الى التسامح ونبذ الخلافات المذهبية والمحافظة على الامن الاجتماعي وتحريم القتل والثأر، حتى من اولئك الذين الحقوا الأذى بعامة الناس من الحقبة البعثية، واللجوء الى القضاء لينال منهم. حسب البيان الذي صدر من المرجعية في ايار٢٠٠٣. وقد استجاب الكثير من الافراد الى هذه الدعوة، بل ان هناك مجموعات من الافراد، أخذت على عاتقها واجب الحراسة، بعد تفكك الاجهزة الامنية[١].

وبعد اصدار فتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية، بقيادة الإمام السيستاني،

(١) ميلان راي، المصدر السابق، ص٣٢٦.

التي تمثل الوجود كله امام الموت كله[١]، استجاب الشعب العراقي، فقد وقعت عشائر محافظات بابل وكربلاء المقدسة والنجف الاشرف وثيقة عهد داخل حرم الامام الحسين عليه السلام بحضور ممثل المرجعية الشيخ عبد المهدي الكربلائي، ومن اهم ما جاء في هذه الوثيقة، هو التأكيد على الدفاع عن العراق وحرمة الدم العراقي، وان الوطن واحد من الموصل الى البصرة، كما طالبت الوثيقة التي وقع عليها اكثر من ٩٠ شيخ عشيرة من عشائر المحافظات الغربية والشمالية، للوقوف بوجه هذه الفتنه، والتطوع ودعم القوات الامنية. كما اجتمع محافظو النجف الاشرف والقادسية وبابل والمثنى وذي قار وكربلاء المقدسة فضلاً عن القيادات الامنية، وفي ختام الاجتماع اعلن محافظ كربلاء آنذاك عقيل الطريحي، ان هدف هذا المؤتمر هو الاتفاق على آليات العمل والمتطلبات الازمة للتطوع وفق السياقات الاصولية[٢].

وفي محافظة ميسان عقد مؤتمر، اعلنت فيه كافة عشائر المحافظة وبكافة الطوائف عن استعدادهم للتطوع، واكد رئيس قبائل آل حميد، ان العشائر العراقية على اتم الاستعداد لمحاربة داعش، وان اكثر من ٢٥٠٠٠ مواطن تطوع بالمحافظة للتصدي للإرهاب، ومغادرة ٤٠٠ منهم الى محافظة الانبار لدعم القوات الامنية، على اساس فتوى المرجعية الدينية[٣].

وفي محافظة ذي قار اعلنت العشائر، تشكيل لواء من افرادها لمساندة القوات

---

(١) حوار مع: حيدر علي (الامين العام للمزارات الشيعية الشريفة) ، الجهاد الكفائي.. فتوى العزة والاباء، مجلة مزارات، السنة الاولى، العدد (٤) ، كربلاء المقدسة، ٢٠١٤مجلة مزارات، السنة الاولى، العدد (٤) ، كربلاء المقدسة، ٢٠١٤، ص٤٠.

(٢) جريدة المشرق، عشائر الفرات الاوسط توقع وثيقة عهد في الصحن الحسيني، السنة الحادية عشرة، العدد (٢٩٥٥) ، السبت ٢١ حزيران ٢٠١٤، ص٣.

(٣) جريدة المدى، ناشطون ميسانيون يدعون لعدم جعل العراق "حقلاً للتجارب"، السنة الحادية عشرة، العدد (٣١٠٧) ، السبت ٢١ حزيران ٢٠١٤، ص٦.

الامنية والمشاركة في القتال واعلنت عشر محافظات عن تشكيل لواء مشترك، تلبيتاً لنداء المرجعية الدينية، بوجوب الجهاد الكفائي، لدحر تنظيم داعش، واكد المحافظون ان اعداد المتطوعين وصل الى مليوني متطوع، بل صار بحراً متلاطم من الشباب الذين اندفعوا للتطوع[١].

مما ادى الى اصدار بيان من قبل المرجعية الدينية، توضح فيه الفتوى من اجل تخفيف زخم المتطوعين، وذلك عبر الخطبة الثالثة التي القاها ممثل المرجعية الدينية، السيد احمد الصافي، كما اشار بيان المرجعية الى (**ان المرجعية توجه بالغ شكرها وتقديرها لمئات الالاف من المواطنين الذين راجعوا مركز التطوع تأسف لما حصل للكثير منهم نتيجة عدم قبولهم بسبب عدم كفاية الاستعدادات وتأمل في استيعابهم مستقبلاً**)، وهذا تعبيراً واضحاً عن مدى استجابة الشعب العراقي لفتوى المرجعية، فقد هب الكبير والضرير والصغير، في تلبية هذا النداء المقدس، أما دور الحكومة في التعامل مع المتطوعين، إذ صدر الأمر الديواني/ ٤٧ استنادا إلى احكام المادة (٧٨) من الدستور وبناءً على قرار مجلس الوزراء المرقم (٣٠١) في ١٨/ ٦/ ٢٠١٤، والذي نص على استحداث هيئة ترتبط برئاسة الوزراء باسم (هيئة الحشد الشعبي)، وتتولى المهام الآتية[٢]:

١ – إدارة الحشد.

٢ – التدريب.

٣– التجهيز والتسليح.

٤ – التوزيع على قواطع العمليات.

---

(١) جريد الصباح، العدد (٣١٣٧) ، ٢١ حزيران ٢٠١٤.

(٢) من هو الحشد الشعبي، كراس يصدر من مديرية اعلام الحشد الشعبي، بغداد، ٢٠١٦، ص١٢.

وشكلت لجان الحشد الشعبي كمديرية مرتبطة بوزارة الامن الوطني وفقاً للأمر الوزاري من رئاسة مجلس الوزراء في ١٥/ ٦/ ٢٠١٤، بعد يومين من الفتوى الإمام السيستاني، وذلك عبر فتح معسكرات في المحافظات لاستقبال المتطوعين من اجل حصر السلاح بيد الدولة وادارة الحرب ضد الارهاب في العراق من اجل الحفاظ على النسيج الوطني[١].

وفي ١٨/ ٧/ ٢٠١٤، استنادا لقرار مجلس الوزراء المرقم (٣٨٠)، تم تعيين فالح فيصل فهد الفياض مستشار الأمن الوطني إدارة ملف الحسد الشعبي وجميع ما يتعلق به من متطلبات، أما الطبيعة القانونية للحشد الشعبي بناءً على قرار مجلس الوزراء المرقم (١٣٨)، في ٨/ ٤/ ٢٠١٥، تُعد هيئة الحشد الشعبي هيئة رسمية ترتبط برئيس مجلس الوزراء/ القائد العام للقوات المسلحة والسيطرة والتنظيم لقوات الحشد الشعبي، كما عملت الحكومة على تنفيذ مشروع بناء قدرات الحشد الشعبي وأدراجها في الموازنة الاستثمارية والإيعاز إلى وزارة المالية لإطلاق مبلغ قدره (٦٠ ,٠٠٠ ,٠٠٠) ستون مليون دولار لتطوير الإمكانيات العسكرية للحشد الشعبي[٢]، وكان من ابرز اولويات الحشد الشعبي حماية المقدسات الدينية في سامراء من اجل الحد من خطر الحرب الاهلية في العراق نتيجة الذاكرة الخطيرة لحادثة تفجير المرقدين العسكريين عليهما السلام، في سامراء عام ٢٠٠٦، فقد عمل الحشد الشعبي مع القوات الامنية في بناء طوق امني في سامراء[٣].

---

(١) حسين علاوي خليفة، ادارة التوحش لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وخطورته على الامن الوطني العراقي، قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العددان (٣٧ – ٣٨) ، ٢٠١٤، ص٣٣٠.

(٢) من هو الحشد الشعبي، المصدر السابق، ص (١٦ – ٣٢) .

(٣) حسين علاوي خليفة، المصدر السابق، ٣٣١.

كما اعاد الحشد الشعبي الروح المعنوية والقتالية لدى ابناء القوات الامنية لا سيما عقب وصول وجبات منهم الى مناطق القتال، ومشاركتهم بشكل فعلي في التصدي لتنظيم داعش[١]، إذ تشير التقارير الاستراتيجية التي نشرت بعد احداث الموصل ان التوترات المذهبية دفعت بعناصر الجيش والشرطة الى خلع ملابسهم العسكرية وعدم الدفاع عن مواقعهم في مواجهة الهجمات المستمرة لداعش، ففي مناخ كهذا، ليس هناك رغبة لدى الجنود في القتال، كما ان السكان لم يكونوا مرحبين بوجود الجيش، فبعض العناصر العسكرية كانت تشعر بأنها بعيدة عن منازلها، وانها تخاطر بحياتها للدفاع عن مدينة ليست شديدة التعلق بها، وهذا ما يفسر حالة الهروب وترك ارض المعركة نتيجة التحديات والضغوط السكلوجية التي مرت بها القوات الامنية في الموصل وغيرها من المناطق التي اصبحت تسقط بيد داعش التكفيري، وهناك من ذهب الى ابعد من ذلك محللاً ظاهرة هذه الانهيارات وتمدد داعش، بأنها عملية انقلاب عسكري نفذتها مجموعات تمثل عناصر النظام السابق، وشخصيات سياسية ورجال دين متطرفين.

مما ادى الى انهيار ليس امني بل سياسي واجتماعي واقتصادي، وصارت الحياة في العراق على حافة الانهيار[٢].

إذ صار لفصائل الحشد الشعبي دور في تغيير موازين القوى لصالح القوات الأمنية والعسكرية فدخولها أرض المعركة شكل فاصلة تاريخية بين حالتين من النكوص والاستجابة القوية التي حققت معها القوات الأمنية والحشد الشعبي

(١) جريدة الصباح، المصدر السابق.

(٢) جاك جوزيف اوسي، ليلة سقوط الموصل، الحوار المتمدن، العدد (٤٤٨٥) ، مقال نشر بتاريخ: ٢٠١٤/٦/١٧، على الموقع:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=419801

انتصارات لايمكن إلا ان نعدها إنموذجاً للروح الحماسية الجديدة التي سادت الشعب العراقي جميعاً، فالحشد الشعبي صار منقذاً لمدن استنجدت به ضمن إعادة بناء اللحمة الوطنية العراقية، وليس من الغريب أن تنطلق الأصوات من أهالي الرمادي طالبةً بتدخل قوات الحشد الشعبي إلى جانب القوات العسكرية وعشائر تلك المناطق للذود عنها، وإيقاف تمدد تنظيم داعش والقضاء عليه[١].

ولذلك يصف العديد من الخبراء العسكريين استراتيجية تنظيم داعش في التمدد إلى العراق بانها (**زحف افعى بين الصخور**)، والمقصود انها تستعمل عناصرها كقوة صدمة للاستيلاء على اهداف سهلة دون الانجرار الى معارك يعرضون انفسهم فيها لإصابات كثيفة. ولا بد الوقوف على بنية الحشد الشعبي، وابرز الانتصارات التي حققها، إضافة الى تحديات الحشد الشعبي.

اولاً: بنية الحشد الشعبي

ان المقاومة الإسلامية بدأت منذ وطأة الاحتلال الأمريكي ارض العراق، واستمرت حتى اجبرت الولايات المتحدة الأمريكية، على القبول بالانسحاب والالتزام بتوقيت الانسحاب، فضلاً عن مدى استجابت الشعب العراقي بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة وهم الاكثرية، إلى توجيهات المرجعية الدينية، ولا سيما شخص الإمام السيستاني، وكما اشرنا انه لم تصدر المرجعية اي فتوى تمنع مقاومة الاحتلال مما سمح بوجود قاعدة شعبية وجماهيرية لوجود مقاومة إسلامية في العراق بعد عام ٢٠٠٣[٢]. وعززت هذه الارضية بفتوى الجهاد الكفائي، التي

(١) شبكة الاعلام العراقي، بطولات الحشد الشعبي، الانترنت، على الموقع:
http://www.imn.iq/articles/view.2432/

(٢) علي فاضل الدفاعي، معالم الحكمة والمسؤولية في مواقف المرجعية الدينية العليا، مجلة حوار الفكر، السنة العاشرة، العدد (٣٠) ، ايلول ٢٠١٤، ص٣٥.

تمخض عنها ولادة الحشد الشعبي، الذي صار جهازاً موازياً للقوات الامنية، وربما اقوى من حيث التأييد الشعبي للحشد، وفي تصنيف عام يمكن تقسيم المجاميع، التي لبت نداء المرجعية بالآتي[١]:

١ – المقاومة الإسلامية الموجودة قبل سقوط النظام البعثي: (**منظمة بدر، حركة سيد الشهداء، حركة ١٥ شعبان، حركة المجاهدين العراقيين، حركة ثأر الله، حركة جند الامام، جماعة العلماء المجاهدين في العراق، حركة حزب الدعوة التنظيم العسكري، حركة حزب الله العراق**).

٢ – التشكيلات المتواجدة على ارض الواقع منذ المواجهات التي حصلت مع القوات الأمريكية، وابرزها: (**جيش المهدي، كتائب حزب الله، عصائب اهل الحق**).

٣– التشكيلات التي شكلت بعد فتوى المرجعية المباركة وابرزها: (**حركة النجباء، كتاب سيد الشهد، سرايا السلام، كتائب عاشوراء، التيار الرسالي، جند المرجعية، كتائب الامام علي، الوية السيد الشهيد الصدر**).

٤ – فضلاً عن كتائب مقاومة إسلامية اخرى شكلت للدفاع عن المراقد المقدسة، وابرزها لواء ابو الفضل العباس وغيرهم، فضلاً عن مشاركتهم في جبهات القتال.

٥ – المتطوعين من ابناء الشعب العراقي، والعشائر العراقية من كافة محافظات العراق.

واستمر الدعم الحكومي لتعزيز بنية الحشد الشعبي ففي ٢٢/ ٢/ ٢٠١٦،

(١) لقاء اجراه للكاتب: مع السيد عباس النوري، باحث وعضو دائم في مركز العراق للدراسات، يوم ٢٠١٤/٧/٢٥.

اصدر القائد العام للقوات المسلحة السابق حيدر العبادي، أمره الديواني المرقم (٩١) الذي ينص على اعادة تشكيل وتنظيم هيئة الحشد الشعبي والقوات التابعة لها، وفقاً للآتي[١]:

١- يكون الحشد الشعبي تشكيلاً عسكرياً مستقلاً وجزءاً من القوات المسلحة العراقية ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة.

٢- يعمل هذا التشكيل بنموذج (جهاز مكافحة الارهاب) الحالي من حيث التنظيم والارتباط.

٣- يتألف التشكيل من قيادة وهيئة اركان وصنوف وألوية مقاتلة.

٤- يخضع هذا التشكيل ومنتسبيه للقوانين العسكرية النافذة من جميع النواحي.

٥- يتم تكييف منتسبي ومسؤولي وآمري هذا التشكيل وفق السياقات العسكرية من تراتبية ومخصصات وعموم الحقوق والواجبات.

٦- يتم فك ارتباط منتسبي هيئة الحشد الشعبي الذين ينضمون إلى هذا التشكيل عن كافة الاطر السياسية والحزبية والاجتماعية ولا يسمح بالعمل السياسي في صفوفه.

٧- يتم تنظيم التشكيل العسكري من هيئة الحشد الشعبي بإركانه وآلويته ومنتسبوه ممن يلتزمون بما ورد آنفاً من توصيف لهذا التشكيل وخلال مدة ثلاثة اشهر.

٨- تتولى الجهات ذات العلاقة تنفيذ احكامه.

---

(١) من هو الحشد الشعبي. مصدر سبق ذكره، ص٤٢.

ثانياً: ابرز انتصارات الحشد الشعبي

كانت مخرجات فتوى المرجعية الدينية العليا الممثلة بالإمام السيد علي السيستاني بالجهاد الكفائي بعد العاشر من حزيران عام ٢٠١٤، وتحشيد العراقيين ضد تنظيم داعش الارهابي، تحرير عدة مدن من سيطرة هذا التنظيم.

وتشير الدراسات والتقارير، بعد فتوى المرجعية بساعات قليلة احدث الحشد الشعبي، تراجع نفسي لأفراد تنظيم داعش، بل كان هناك تراجع تكتيكي ايضاً، فأنسحب داعش، من اغلب المواقع التي سيطر عليها، على سبيل المثال الانسحاب الكامل لداعش من مكان المواجهة مع الحشد، في بيجي والساحل الايسر من منطقة القيارة (جنوب الموصل)، بتاريخ ٣٠ كانون الاول ٢٠١٤، ثم وصل الامر انتهاء الخلايا النائمة وتفكيك حواضنها في اغلب المناطق التي يسيطر عليها داعش، فقد واجه معظم افراد التنظيم بعد تقدم الحشد الشعبي، خيارات صعبة اثناء انتصارات الحشد الشعبي، في اطراف الموصل وديالى، واطراف تكريت (بيجي)، وهي القتال حتى الموت او الهروب خارج هذه المدن او القاء السلاح وتسليم انفسهم.

ومن جهة اخرى، فأن قيادات ومقاتلي تنظيم داعش الأوائل (الخط الاول)، والمدربين باحتراف عقائدي وعسكري يتعرضون للتصفية واستهلاك كبير في الجهات الامامية يومياً، على يد الحشد الشعبي والقوات الامنية، كما حدث جرف الصخر (جرف النصر) وبيجي ومحيط الانبار، حتى وصل الامر بالتوسع داخل محافظة الانبار التي بدأت عمليات تحريرها منذ ١٥/ ٧/ ٢٠١٥، فضلاً عن بروز ظاهرة جديدة في التنظيم تدل على التمييز الطبقي في المعاملة بين المقاتلين الاجانب

والمقاتلين العراقيين داخل التنظيم، متمثلاً بسحب الاجانب من المعارك الضارية والمناطق الخطرة وإرسال اعداد كبيرة منهم الى سوريا واستبدالهم بمقاتلين عراقيين لتعميق توريطهم، كما يعاني داعش من عملية تحويل اصحاب الوظائف شبه المدنية في التنظيم الى مقاتلين في الجبهات الامامية (ذات الطابع العسكري القتالي الثقيل).

وحصل هذا التطور بسبب النقص الحاد والاستهلاك الكبير لقيادات التنظيم والعناصر المدربة بشكل جيد، ومقتلهم في المعارك على يد الحشد الشعبي والقوات الامنية، ويرفض اصحاب هذه الوظائف الى الالتحاق بالصفوف الاولى في داعش، خصوصاً بعد تقدم الحشد الشعبي والانكسار الذي تعرض له التنظيم[١]. وللمزيد حول المناطق التي حررها الحشد الشعبي ينظر الجدول الآتي[٢]:

(١) منتدى فكرة، هل بدأت نهاية تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق؟، حوار نشر على الانترنت، بتاريخ: ٢٩ يناير ٢٠١٥، على الموقع:
http://fikraforum.org/?lang=ar#.VbPQ4LOqqo

(٢) الجدول نقلاً عن: من هو الحشد الشعبي، المصدر السابق، ص٣.

ت	مكان العمليات العسكرية	تاريخ بدأ العمليات
١	عمليات حزام بغداد	٢٠١٤/٦/١٧
٢	عمليات تأمين طريق بلد – سامراء	٢٠١٤/٦/٢١
٣	عمليات فك الحصار عن آمرلي	٢٠١٤/٩/١
٤	عمليات جسر الزركة	٢٠١٤/٩/٣
٥	عمليات جرف النصر	٢٠١٤/١٠/٢٧
٦	عمليات تحرير جلولاء – السعدية	٢٠١٤/١١/٢٣
٧	عمليات تحرير قرى محيط بلد	٢٠١٤/١٢/٣٠
٨	عمليات تحرير قضاء المقدادية	٢٠١٥/١/٢٦
٩	عمليات تحرير صلاح الدين – شرق النهر	٢٠١٥/١/١٢
١٠	عمليات تحرير صلاح الدين – غرب النهر	٢٠١٥/٤/٣
١١	عمليات تحرير مناطق الثرثار	٢٠١٥/٦/٦
١٢	عمليات تحرير شمال الفلوجة	٢٠١٥/٧/٦
١٣	عمليات تحرير بيجي	٢٠١٥/١٠/٢٥
١٤	عمليات تحرير غرب صلاح الدين	٢٠١٦/٣/٣
١٥	عمليات تحرير الفلوجة	٢٠١٦/٦/٦

ثالثاً: تحديات الحشد الشعبي

بعد الانتصارات التي حققها الحشد الشعبي، في مواجهة تنظيم داعش الارهابي، صار محل اعجاب وفخر غالبية الشعب العراقي، إذ تحولت تلك الانتصارات الى حديث يومي في المحافل اليومية والمجالس العشائرية. الا هناك

قول:(**حتى الملائكة تكرهها الشياطين**)، فبالرغم من دور الحشد الشعبي، في اعادة هيبة وسيادة العراق وحماية مكوناته، بل راح ابعد من ذلك فقد اعاد الصورة الحقيقية للأمة الإسلامية في العالم والمنطقة العربية، صار يتعرض لتحديات سوف نحاول توضيح بعضها عبر تقسيمها الى مايلي:

اولاً: تحديات خارجية

بما ان هدف المقاومة الإسلامية هو محاربة كل مخططات أمريكا و(اسرائيل)، ومن يعمل معهم، فمن الطبيعي ان يكون الحشد الشعبي وهو جوهر المقاومة الإسلامية، محل استهداف من قبل قوى الشر، فقد عملت بعض الجماعات في مناطق معينة في العراق، منذ عام ٢٠٠٤-٢٠٠٥، الى دعم تنظيم القاعدة في العراق، بسبب اعتقادهم ان الحكومة والنظام السياسي الحديث يسعى لتحقيق تفوق مكون معين على حساب الاخر والهيمنة على كافة مفاصل الحياة في العراق، وكان تنظيم القاعدة احد الاسباب التي دعمت وجود الولايات المتحدة في العراق نجحت الدفاع عن مصالحهم. والواقع يشير إلى أن السبب وراء توريط بعض الجماعات في مناطق معينة لدعم وجود تنظيم القاعدة هو الانجراف وراء الافكار المتطرفة والمشوهة للدين الإسلامي من جهة، وكذلك السير خلف بعض النخب السياسية التي وجدت مصالحها في وجود هذا التنظيم من جهة ثانية، وعملت الولايات المتحدة على توفير الاسلحة تحت غطاء الصحوات التي شكلتها الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٥، وبالنتيجة سيطرة تنظيم القاعدة على اغلب مناطق الغربية، وكان دور بعض الدول الخليجية الراعية للتطرف الفكري حاسماً في هذا الجهد، خاصة دور اجهزت المخابرات الاردنية فضلاً عن التمويل

السعودي، وتؤشر التقارير ان مخرجات هذه المدخلات ادت نهاية عام ٢٠٠٧، بتواجد مابين ٦٥٠٠٠- ٨٠٠٠٠ من عناصر مواليه إلى الخارج، وامتدت من الانبار إلى محافظات بابل نينوى صلاح الدين ديالى وبغداد، واستمر الدعم الخارجي طيلة وجود هذه الحواضن ذات الولاء الخارجية في المجتمع[١].

وقد يكون نائب الرئيس الأمريكي الاكثر وضوحاً في اتهامه المباشر لجماعات متطرفة في الخليج كما لتركيا دور برعاية وصعود داعش والقوى المتطرفة في المنطقة، وذلك اثناء محاضره له القاها في جامعة هارفارد، بداية تشرين الاول ٢٠١٤، كما اكد السيناتور الجمهوري جون ماكين (**أن السعوديين يمولون عمليات عصابات داعش الارهابية**)، ما كان بمقدور هذه الدول وغيرها سلوك هذا المسلك من دون رضى واشنطن التي وفرت مع حلفائها الغربيين، البيئة الإقليمية والدولية الملائمة لتدفق الارهاب و "الجهاديين"، من كافة دول العالم إلى الميدانين السوري والعراقي، ومعيار المقاربة الأمريكية الدائر فيها التخلص من الجماعات المتطرفة، وتفكيك محور المقاومة في المنطقة، خدمة (لإسرائيل) صاحبة المصلحة الكبرى في تدمير الدول، وخلق (اسرائيليات)، دينية متناحرة تدور جميعها في فلكها[٢].

الا ان الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، فقد اصطدمت الولايات المتحدة وحلفائها، بمؤسسة دينية يقودها السيد علي السيستاني كان لها دور مهم في وضع حداً لنهاية التواجد الأجنبي والتدخل المباشر بالشأن العراقي، فقد

(١) مقالات: فردريك وبري و اربيل اهرام، الحرس الوطني في العراق: استراتيجية خطرة لمكافحة الدولة الإسلامية، ترجمة: علاء الربابعه، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، ٢٣ ايلول ٢٠١٤. وكذلك: جريدة الصباح، المصدر السابق.

(٢) نقلاً عن: محمد خواجه، المصدر السابق، ص٨٧.

استعملت قوى الاستكبار سياسة التوريط، من اجل تحقيق مصالحهم. إلا أن الوضع انقلب ضدهم بعدما اصطدموا مرة اخرى بالمرجعية الدينية، فلم يتوقع الغرب انها تعلن فتوى الجهاد، ضننا منهم انها صامته في موضوع اعلان الجهاد والمقاومة، إذ كان الاعتقاد السائد أن المرجعية تبقى رغم كل شيء تقليدية، فقد ادت سياسة التوريط إلى بروز مقاومة تضرب بيد من حديد، ويجب الاشارة إلى أن هذا الاستراتيجية الأمريكية هي فحوى الانتصار للمرجعية، فصناعة الولايات المتحدة للإرهاب والتطرف الفكري وتمويل بعض دول الخليج والسعودية، ادت إلى ولادة الحشد الشعبي.

فلجأت الولايات المتحدة وحلفائها في الغرب ودول الخليج إلى اعتماد السلطة الرابع، وإعلان الحرب الاعلامية بعد ما فشل بجميع الوسائل العسكرية أذ يتعرض الحشد الشعبي إلى ماكنة الاعلام المضاد، إذ تشير مراكز الدراسات والكتاب الغرب والاعلام الخليجي ولا سيما السعودي والقطري والاماراتي والاردني، الى ان الحشد الشعبي هو مليشيات شيعية، ووجودها يشكل خطراً لسببين، **الاول**: هو أن مشاركتها ستطيل الحرب على داعش، **والثاني**: أن مشاركة الحشد الشعبي سوف تضعف الاستقلال الاستراتيجي الذي يتمتع به العراق!!، أين استقلال العراق قبل فتوى الجهاد وبروز الحشد الشعبي، كان على شفا حفرة من السقوط، واكد ذلك الرئيس الأمريكي اوباما في أول خطاب له بعد سقوط الموصل عندما قال:(**أن الحكومة في العراق محاصرة من قبل جماعات مسلحة**)، وتبين وسائل الاعلام ان أمريكا مهتمة بالشأن العراقي والأمني اكثر من أي وقت مضى من اجل الإطاحة بالحشد الشعبي، فعمدت الولايات المتحدة الأمريكية إلى خلق تحالف دولي، الا ان القريب والبعيد يدرك مدى قدرة الحشد الشعبي على

جميع المؤامرات، وهو يثبت يوماً بعد يوم عن تنامي قدرات الحشد الشعبي والتقدم المستمر في جبهات القتال[١].

اما الاعلام العربي، لا يختلف عن خطورة الاعلام الغربي في اعلان الحشد الشعبي بأنهم مليشيات اجرامية، وبإمكانها ان تحل محل القوات النظامية في قيادة المؤسسة العسكرية، وانها تابعة للجمهورية الإسلامية الإيرانية. إذ كان هناك دور للجمهورية على شكل مساعدات وتقديم الخطط العسكرية اللازمة، وهذا الدور يدخل ضمن الحملة العالمية لمحاربة تنظيم داعش، وليس ذلك الدور الذي يصوره الاعلام المعادي. اما بخصوص تسليح الجمهورية الإسلامية للحشد الشعبي، فهو تسليح اعتيادي لم يكن تسليحاً على مستوى عالٍ بطائرات او دبابات برامز، وانما اسلحة خفيفة لا تكاد تتعدى الرشاش والذخيرة، وقدمت كالمساعدات العسكرية من الدول الاخرى، في مساعدة العراق للقضاء على تنظيم داعش، وابعاد ذلك الخطر المتنامي في المنطقة. فضلاً عن ذلك يندرج هذا التسليح ضمن سياسة توازن القوى لمجابهة داعش نتيجة القوة التسليحية التي يحصل عليها التنظيم من طائرات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والطائرات المجهولة التي تخترق الاجواء العراقية لإلقاء الاسلحة والمساعدات العسكرية لدعم تنظيم داعش. فضلاً عن ذلك فان الشعب العراقي يرفض أن يكون تابعاً لإيران، كما يدعي الاعلام المضاد.

وفي النتيجة فأن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها فشلت في تحقيق اهدافها كما أدراك الشعب العراقي أمرين، **الأول**: ان العصب الحيوي هو الخط

(١) مايكل نايتس، المعركة ضد داعش الحركات الشيعية المسلحة ومساعي التحالف الدولي، مركز الدراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد (١١١) ، كربلاء، ص١١٢.

المقاوم، **والثاني**: هو فشل الولايات المتحدة الأمريكية وعدم جديتها في مواجهة الارهاب داخل العراق. وان الحشد الشعبي تمكن من حماية العراق وفرض وجوده بعد ان ارادت أمريكا ان تجعل دوره ثانوياً وتفرض وجوداً تكون هي سيدة الموقف امنياً لتطرح فيما بعد استراتيجيتها، فان هزيمة داعش، هزيمة للمشاريع الأمريكية وتلك المتلازمتان هي من تدفع الحشد للثبات والتحرك وفرض الوجود، وكان بين الخط المقاوم العراقي والمشروع الأمريكي معركة وجود في العراق منذ عام ٢٠٠٣.

ثانياً: التحديات الداخلية

وقد بينت استبيانات دقيقة ان مستوى رضا الناس عن الحشد الشعبي فاق جمهور ومحبو اتباع الكتل السياسية والاحزاب، حيث الناس تقارن بين رجال يسجلون اشرف المواقف في ساحات القتال، ورجال في السياسة يتسابقون للحصول على امتيازات وعقود شركات وتضخيم ارصدتهم في البنوك العالمية.

هذه المقارنة راسخة لدى الشعب العراقي، ولهذا تدور اليوم داخل الكواليس المغلقة بين بعض الاطراف السياسية محاولات لعزل المقاومة ورجالها في الحشد الشعبي، من المشهد السياسي المقبل لانهم – رجال المقاومة – باتوا يمثلون خطراً يهدد تلك النخب السياسية التي اثبتت فشلها. اذ نجد ان مقولة الخليفة العباسي هارون الرشيد شاخصة في سلوكيات بعض زعماء الكتل السياسية وهو يخاطب ابنه (**ويحك لو نازعتني على الملك لقطعت الذي فيه عينيك**).

وكذلك أنعلاقة الحشد مع العملية السياسية وعلاقة السياسيين والحكومة مع الحشد الشعبي صارت واضحة جداً، فان الدور الذي لعبه الحشد سوف يرسم

خارطة العراق السياسية وهم من يحددوا مصير الحكومة واختيار الانسب عبر الانتخابات وليس العكس[١]، فاستدركت بعض الكتل السياسية الخطر الذي يهدد وجودها بسبب تنامي امكانيات الحشد الشعبي الجماهيرية والعسكرية، فاغلب الاحزاب والنخب السياسية تخطط لتشكيل تحالفات للمرحلة المقبلة، لمواجهة الحشد الشعبي وخصوصاً القيادات البارزة التي سبق وان كان لها (دور في العملية السياسية)[•]، ثم توجه اعلامها المغرض لتشويه صورة الحشد الشعبي، بل اكثر من ذلك هي تسعى لتمزيق وحدة وانسجام الشعب العراقي[٢].

رابعاً: علاقة الحشد الشعبي بالمكون السني

يجب ان نكون واضحين من ان السنة في العراق من اشد المكونات التي عانت من عدم الاستقرار بعد عام ٢٠٠٣، ومن ابرز اسباب عدم استقرار هذا المكون سيطرة الجماعات الارهابية بقايا حزب البعث والقاعدة ثم داعش، في اغلب المناطق الغربية فضلاً عن النخب السياسية التي تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة على حساب المصلحة العامة وتدعي انها تمثل السنة ولها امتدادات خارجية، فضلاً عن ان طبيعة المذهب السني لا تؤمن بوجود مرجع ديني، افرزت هذه الاشكالات ثلاثة اتجاهات، **الاول**: هم الذين يريدون ان يلتحقوا بدولة العراق ويؤمنون بالمشترك الوطني كقاعدة عامة تحكم المواطنين ويعتقدون ان الدولة

(١) لقاء اجراه الكاتب: مع الدكتور محمد صادق الهاشمي، رئيس مركز العراق للدراسات، في مقر المركز بغداد، بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٩.

(•) سيتم الحديث عن نماذج من الحسد الشعبي عبر الفصل القادم فهناك بعض الفصائل الداخلة ضمن الحشد الشعبي لها وجود في العملية السياسية.

(٢) لقاء اجراه الكاتب: مع الاستاذ جمعة العطواني، مدير شبكة افق للتحليل السياسي، في مقر الشبكة، بغداد، بتاريخ ٢٠١٥/٧/٢٥. وكذلك انظر: محمد صادق الهاشمي، شيعة العراق، ص٤٠١.

خيمة جامعة لجميع المواطنين فهؤلاء يعانون ما تعانيه جميع الطوائف والمكونات في العراق من تنظيم داعش وموقفهم لايختلف عن موقف المقاومين من الحشد الشعبي ويقدر عددهم الاغلبية في العراق من المكون السني[١].

اما الثاني: على الحياد وينظر إلى كفة الميزان الى اين سوف تذهب ليصبح معها.

بينما الاتجاه الثالث: هم المتأثرين بأفكار الحركات السلفية التي تريد أن تؤسس لفكر سني قائم على فكر سياسي يؤمن بإقامة (دولة الخلافة)، وغيره من الافكار والاتجاهات السلفية التي غزت المكون السني، وكلاً من هذه الاتجاهات يحاول الهيمنة على المكون السني، هؤلاء من الطبيعي أن تكون علاقتهم بالحشد الشعبي متوترة وغير منسجمة خاصة في ظل موجة من الاعلام المغرض التي صورت أن الحشد الشعبي هو جيش شيعي إيراني او صفوي مهمته قتل السنة واسكات ثورتهم الشعبية ومنعهم من أن يطالبوا بحقوقهم السياسية والمدنية، كما اشرنا سابقاً، وبالإجمال نجد أن العلاقة ومن منظار ميداني تميزت بالآتي:

١ – في بعض المناطق التي تشهد عمليات عسكرية ضد الجماعات الارهابية والمتمثلة بعصابات داعش، تبين ان بعض السكان المحليين تستقبل الحشد الشعبي، وتحتضنه وتقاتل معه وتسنده وهذا حصل في بعض المناطق من محافظتي صلاح الدين والانبار، والبعض الثاني من السكان تمكن الارهاب من السيطرة على قراهم وتكون حواضن للإرهاب وتسانده في مواجهة الحشد الشعبي والقوات الامنية العراقية بمواجهات عنيفة ويعتبرونهم اعداء في الدين وفي الموقف

(١) هذه النسب غير دقيقة ومتأرجحة بسبب عدم استقرار الاوضاع في المناطق التي يسكنها غالبية السنة منذ عام ٢٠٠٣، ولحد الان مما جعل استحالت وجود مصادر استبيان واستطلاع للآراء والاتجاهات.

السياسي وهذا امر لاينكر. والبعض الاخر اختاروا النزوح من مدنهم وعدم التدخل في العمليات العسكرية بانتظار ما ستؤول اليه الاوضاع الامنية.

ونجد ان علاقة المكون السني مع الحشد الشعبي وان كانت متباينة من مدينة إلى اخرى ومن عشيرة الى اخرى. الا اننا يمكن ان نقول ان نسبة تتجاوز ٥١٪ من المكون السني تدرك بعمق ان الحشد الشعبي، ملتزم بالدفاع عن العراقيين جميعاً دون تفريق بين سنة وشيعة، فالكثير من المكون يدرك ان بروز الحشد الشعبي على اساس فتوى المرجعية الدينية والهدف هو حماية جميع المكونات، كما ويرى المكون السني ان الحشد الشعبي منضبط بسلوك المرجعية ومحدداتها. بينما النسبة الاخرة منهم ٢٠٪ تقريبا لايريدون ان يقبلوا بهذا الواقع ويرون ان الحشد الشعبي، والقوات الامنية: هي عدوهم في جميع الجوانب، والباقين هم على الحياد او لم تتضح لهم الصورة والرؤية بعد او لهم رؤية جيدة لكنهم يخشون الافصاح عنها نتيجة الضغوط التي تمارس عليهم. بيد ان القول الفصل هنا ان نمو الفصائل المسلحة العشائرية السنية المقاومة للإرهاب امر بات يتجلى ويتضح.وعلينا ان نعذر المكون السني دوما لان الارهاب نشا في ظروف وايديولوجيات نبعت من داخل مدنه ومن تأثيرات اقليمية عسرت الحل وعقدت المشهد. وهكذا بنمو هذه الطبقة ستنمو افكار الفهم الايجابي والعلاقة الحسنة بين الخط المقاوم والحشد الشعبي العام سنة كانوا ام شيعة.

٢- ان طبيعة العلاقة بين الحشد والمكون السني، غير محكومة بإطار محدد بل نابعة من اتجاهات المصالح الذاتية للزعماء القبليين والنخب السياسية للمكون السني في تلك المناطق فنجد ان صيحات تنطلق في مؤتمر اربيل المنعقد بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٤، تعتبر الحشد الشعبي مليشيات. بينما صوت اخر ينطلق من

اعماق المكون السني يمثله أعضاء مجالس المحافظات وشيوخ العشائر ورجال الدين يستعينون بالحشد على مساعدتهم في تطهير مدنهم من عصابات داعش.

وهناك من يتقول على الحشد الشعبي ويصفه بانه حشداً شيعياً طائفياً بهدف خلق ردة فعل لدى دول الجوار التي تنتهج نهجاً سنياً سلفياً طائفياً لدفعهم للتدخل بالعراق. الا ان الحشد الشعبي، حتى وان كان شيعياً ولكنه ذو اهدف وطنية اوسع من كونها مذهبية او مناطقية وهذا ما اقر به الجميع بما فيها الدول العربية كما ان الحشد الشعبي، لم يتأسس من ذاته او بدعم سياسي او حزب او بدعم اقليمي او شخصي بل تأسس في اطار الشرعية التي دعت اليها المرجعية الدينية وتحت أمرة الدولة في الدفاع عن الشعب العراقي. ولا يمكن لأي دولة اقليمية ان تجازف في الطعن بالمرجعية والمؤسسات التي تنتج عنها خصوصاً انها معروفة في توازنها واعتدالها ورغبتها وحرصها في احلال السلم الاجتماعي[١].

وعبر ما تقدم يمكننا القول بأن العلاقة بين الحشد الشعبي والمكون السني تقوم على فكرتين الاولى تقول: ان الحشد الشعبي كونه حشداً وطنياًتأسس تحت غطاء المرجعية وشرعية الفتوى وحماية القانون فلا ضير ان يدافع عن المدن السنية مهما قيل.والاخرى: ان الحشد الشعبي بما انه يتكون من المكون الشيعي فان دخوله المدن السنية لايخلومن اشكالات وهنا عدد من الملاحظات:

١ – ان المكون السني يختلف بين من يؤمن بالحشد الشعبي وبين من يعتبره ضده –كما قدمنا – ويرى الاخير ان الحشد الشعبي مشروع للاستيلاء على المدن

(١) قدرت الإحصائيات الحكومية ان عدد اللاجئين من الانبار ب(٢٨٠) الف ومن الموصل (مليون وربع) وعدد البيوت المهدمة (١٢٠) الف بيت والقرى المتضررة ب(٣٠) قرية. وعدد المدارس المعطلة (٨٩٠) ارشيف مركز العراق للدراسات.

السنية حال دخوله وهذا ما يعكسه الاعلام المظلل، وفي ظل هذا التباين في المواقف والرؤى لايمكن للحشد الشعبي ان يدخل المدن السنية بل من المهم ان لايدخل لان وجوده في المدن السنية قد يكون استفزازا لهم خصوصاً اذا رافق ذلك اخطاء من هنا وهناك من نهب او سلب او تجاوز وهذا ما عكسته فتوى الإمام السيستاني في حرمة الاستيلاء على الاموال العامة بتاريخ ٥/ ١/ ٢٠١٥، وانها بدون اشكال فتوى اتت كردة فعل للرد على تصرفات البعض، اذن اذا تدخل الحشد الشعبي في المدن السنية التي سيطر عليها داعش مع وجود من يرفض دخول الحشد قد تحصل حرب طائفية وتكون النتائج اكثر خطراً والمشهد اكثر تعقيداً.

٢- ان هناك فريقاً من المكون السني يدرك انه ان لم يستجيب لفتوى الإمام السيستاني، ويعتبرها فتوى لجميع العراقيين بمختلف مكوناتهم لم تتمكن اي قوة من حمايتهم محلية او دولية.

٣- يتضح ان هناك تبايناً في اتجاهات الرأي في المكون السني فهناك من ايد داعش واصبح حاضناً لها، في مؤتمر الاردن بتاريخ ٢٧/ ٦/ ٢٠١٤، وبين من ادان داعش في مؤتمر اربيل ١٦/ ١٢/ ٢٠١٤، وبين من يريد الاسناد الدولي الأمريكي وبين من يريد الدفاع الشعبي تحت خيمة الدولة وبين من يعتقد ان الخروج من الازمة بإقامة الفيدرالية وبين من يطرح موضوع الاصلاح السياسي كحل. وقد رأى المراقبون التباين الكبير في مؤتمر اربيل بين مواقف السياسيين وفي ظل هذه الاوضاع لابد للحشد الشعبي ان يعاني من تحديات جمة خصوصاً انه يطرح نفسه سانداً ومؤيدا ومدافعاً في بيئة غير واضحه باتجاهها ومسارها وهذا ما يعانيه حتى الجيش العراقي خصوصاً بعد احداث (سبايكر والصقلاويه)(•)، والتي شاركت

(•) مجزره ارتكباها تنظيم داعش الارهابي ضد طلاب قاعدة سبايكر العسكرية اضافة الى مجزرة الصقلاوية وراح ضحية هذه المجازر اكثر من الف مواطن عراقي (الباحث) .

فيها بعض الجماعات من تلك المناطق في قتل الجنود والمتدربين.

٤- المكون السني لاتوجد له مرجعية سياسية او دينية موحدة، فالنخب السياسية بينها خلاف عميق وهكذا المراجع الدينية وحتى العشائر السنية تختلف في رويتها ومواقفها، فنجد عشيرة تقاتل داعش واخرى معها وهنا يأتي السؤال الطبيعي كيف يدافع الحشد الشعبي وحتى الجيش في بيئة كهذه وكيف يتورط وسط هذه الخلافات.

ورغم ذلك نشاهد الحشد الشعبي اليوم وهو في قلب المعركة مع داعش، وقد حرر الكثير من المناطق في غرب العراق واعلن انه لن ينسحب حتى النصر والحفاظ على العراق ارضاً وشعباً.

خامساً: علاقة الحشد الشعبي بإقليم كردستان

الملاحظ ان العلاقة بينهما لايوجد فيها تقاطع لوحدة الهدف في مواجة داعش ولم تسجل الاحداث الى الان حادثة او تصريح او قول او سلوك يمكن ان يكون احد الثوابت الاستراتيجية في رؤية المكون الكردي عن الحشد الشعبي، الا ان نقطة الاختلاف تكمن في ان حكومة اقليم كردستان تنطلق في مواجهتها لداعش من دوافع محلية ذاتية بعيداً عن المصلحة الوطنية، ويهمهم الدفاع عن الاقليم وليس شيء وراء ذلك. وفرض واقع جغرافي سياسي للسيطرة على مناطق يعتبرونها جزء من جغرافية الاقليم سواء في الموصل او في ديالى في خانقين وجلولاء، وغيرها من المدن[1].

(١) مايكل نايتس، كردستان العراق هل تصبح "اسبارطة صغيرة" في الشرق الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد (١٠١) ، كربلاء المقدسة، ص١٧.

وبـذلك أن حكومـة كردسـتان اشـعرت العـراقيين انهـم يتحركـون بعـد احداث داعش باتجـاهين، **الاول**: انهـم يـدافعون عـن اراضـيهم الخاصـة بهـم حسب وجهة نظرهم من داعش، **اما الثاني**: انهم استغلوا الظرف الامني الـذي احدثه دخول داعـش، الى العـراق لأخـذ اراضي واسـعة وضـمها إلى الاقلـيم بدعوى انها اراضي تابعة.

هذا الواقع الذي تحرك به الاقلـيم في العـراق عـبر الاحـداث اوجـد اثـارات وحساسيات كبيرة لدى جميع ابناء الشعب العراقي، وتلـك الحساسـيات تـنعكس بدورها على تشكيلات الحشد الشعبي إلا أن الاخير غير معنـيٌ بالشـأن السـياسي العراقـي، وانـما يحـصر نشـاطه فقـط بالشـأن العسـكري والامنـي، ولم تظهـر اي تصريحات تُعقد المشهد وتوحي بالخلاف. بينما تبرز خلافـات في التواجـد الميـداني بين الحشد الشعبي، والبيشمركة، عبرت عنها حكومـة الاقلـيم وقيـادات الحشـد الشعبي، خصوصاً في المناطق ذات التواجد المشـترك عسـكريا وبالنتيجـة نـرى ان العلاقة بين حكومة الاقليم والحشد تتمتع ببعدين هما:

١ – **البعد السياسي**: ان سياسة اقليم كردستان لا تواجه بموقف محدد من قبـل الحشد الشعبي، لان هكذا امر منوط بالقوى السياسية والحكومـة المركزيـة (شـأن سياسي)، ويخضع للحوارات السياسية والاتفاقات والتأثيرات الاقليمية والدوليـة وان ابدى الحشد الشعبي، من الاعتراض فهو في الاطار العام كونهم جزء لا يتجزأ من الدولة والمؤسسة السياسية والأمنية.

٢ – **البعد العسكري**: بـلا اشـكال ان ثمـة حساسـيات ممكـن ان تظهـر عـلى الارض مستقبلاً بسبب سياسية الاقليم التي تتعارض نوعاً ما مع مصالح العراق،

والتي تجد مفاعيل التوتر على الارض في المناطق المشتركة[١].

كما ان ثمة متغيرات في تكوين البيشمركة والتيارات الكردية الاخرى[٢]. انعكست على البناء العام لها مما دفع مسعود البرزاني، بالدعوة الى معالجة الموقف وهذا ما إشارة اليه صحيفة نيويورك تايمز (**وجّه رئيس اقليم كردستان العراق مسعود بارزاني، وهو القائد الأعلى لقوات البيشمركة الكردية، بمعالجة المشاكل ونقاط الخلل في وزارة البيشمركة، وتوحيد القوات في مؤسسة نظامية موحّدة، للحيلولة دون استفحال تلك المشاكل وانهيارها على غرار ما حصل للجيش العراقي، فيما تواجه هذه الدعوات أصواتاً رافضة وخصوصاً من داخل حزب "الاتحاد الوطني الكردستاني"، الذي يتزعمه الرئيس العراقي السابق جلال طالباني. ففي أعقاب هزيمة الجيش العراقي في محافظات نينوى وصلاح الدين وكركوك وديالى والأنبار، وعدم قدرته على التصدي لتنظيم داعش، واجهت قوات البيشمركة الكردية تحدياً كبيراً عندما وجدت نفسها بمواجهة مع داعش، المعززين بأسلحة حديثة. وقد دفع ترجيح كفة القتال في بداية المواجهات لصالح داعش، مما دفع بقيادات البيشمركة إلى المطالبة بالإصلاح وتحويل المؤسسة العسكرية نحو المؤسساتية وإبعادها عن التدخل الحزبي**)[٣].

وهذا يعني ان حكومة الاقليم لاتريد في تخطيطها الاستراتيجي نمو جيش

(١) محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي "التأسيس والاستشراف"، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٥، ص(١٨ ٠ ٢٣) .

(٢) مازن صاحب، كردستان على مرمى داعش ومخاوف متجددة من السلفية الكردية، موقع كتابات، الاحد ١٠ اب ٢٠١٤. وكذلك: نجم الدين بيرقدار، كركوك بين الحقيقة والواقع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١١، ص١٨٣.

(٣) جريدة نيويورك تايمز، بتاريخ ٢٠١٤/٧/٦.

عراقي منظم ولا حشداً شعبياً قوياً كي يبقى ميزان القوة العسكرية للإقليم قوياً وراجحاً.

سادساً: معركة تحرير الموصل

تُعد الموصل آخر مدينة كبيرة تحت سيطرة تنظيم داعش وهي أكبر خمس مرات تقريباً من حجم أي مدينة أخرى سيطر عليها التنظيم[١]. وثمة قيمة رمزية لطرد تنظيم داعش من الموصل، حسب المقاربة الأمريكية، فمنها أعلن ابو بكر البغدادي زعيم التنظيم دولة (الخلافة)، ومنها امتدت سيطرة التنظيم على مساحات شاسعة في العراق وسورية، ولهذا فأن تحرير الموصل هو بداية لانتهاء تنظيم داعش وهزيمته[٢]، فضلاً عن الموقع الجغرافي لمدينة الموصل الذي جعلها محط اطماع اقليم كردستان وكذلك تركيا التي اعلنت أنها لن تقبل لأي تغيير ديمغرافي في الموصل، وإيران التي تسعى للحفاظ على انتصارات الحكومة العراقية ذات الاغلبية الشيعية، لذلك عملت الحكومة بقيادة رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، على دفع جهاز مكافحة الارهاب إلى الصفوف الأمامية في معركة الموصل كونه الجهاز لا تطغى عليه أي صفة طائفية كونه يضم جميع مكونات الشعب العراقي في صفوفه[٣].

---

(١) ستيفن كالين وبابك دهقان بيشه، "العبادي يقول حملة الموصل تسير بخطى أسرع مما كان متوقعاً"، رويترز، ٢٠١٦/١٠/٢٠، شوهد في ٢٠١٦/١٠/٣١، على الموقع الالكتروني:
http://bit.ly/2edjlqz

(2) Nick Robins-Early, "Why The Massive U.S.-Backed Mosul Offensive Matters", Huffington Post, October 18, 2016, accessed on 31/10/2016, http://huff.to/2ediDFdx.

(٣) تقدير موقف: حسابات واشنطن في معركة الموصل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، قطر، تشرين الأول ٢٠١٦، ص٥.

وكانت معركة تحرير الموصل بقيادة الفريق الركن عبد الأمير يارالله، الذي اعلن عن مقتل أكثر من (٢٥) الف عنصر من تنظيم داعش في معارك التحرير مدن الموصل على مدى (٩) اشهر، بينهم أكثر (٤٥٠) انتحارياً، وكذلك تدمير (١٢٤٧) سيارة مفخخة، واسقاط (١٣٠) طائر مسيرة للتنظيم، وتدمير (١٥٠٠) عجلة مختلفة تابعة للتنظيم، بمشاركة أكثر من (١٠٠) الف مقاتل من الجيش والشرطة والحشد الشعبي، وانطلقت تلك العمليات في ١٧/ ١٠/ ٢٠١٦، تحت مسمى (قادمون يا نينوى)[١].

وكان دور الحشد الشعبي في تحرير الموصل هو تأمين المناطق والطرق الريفية الخاوية جنوب القيارة وغربا لموصل، وتشير دراسات إلى أن عدد مقاتلو تنظيم داعش يبلغ عددهم ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ ارهابي، واستطاعت القوات الأمنية رصد تحركاتهم واماكن تواجد ابرز قادة التنظيم وعبر الضربات الجوية والعمليات البرية انهار تنظيم داعش الارهابي[٢]، وفي١٠/ ٧/ ٢٠١٧، اعلن رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، رسمياً تحرير مدينة الموصل من تنظيم داعش الارهابي بمشاركة جميع القوات العسكرية من الجيش والشرطة والحشد الشعبي وقوات البيشمركة[٣].

---

(١) ياسين بوتيتي، "الجيش العراقي مقتل ٢٥ الف (داعشي) في معركة تحرير الموصل"، وكالات اخبار العالم، على الموقع الرسمي لقناة ارت العربية، على الموقع الالكتروني:

http://arabic.rt.com/middle

(٢) مايكل نايتس، كيف ستتبلور معركة الموصل، معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، نشر بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٤، على الموقع الالكتروني:

http://www.washingtoninstitute.org

(٣) ياسين بوتيتي، المصدر السابق نفسه.

سابعاً: الحشد الشعبي بعد الموصل ما بين التحديات والمستقبل

لقد نظرت الشعوب منذ حزيران ٢٠١٤، بفخر إلى ظاهرة الحشد الشعبي الذي قدم للعراق رمزاً وطنياً يعوضهم عن فشل الأجهزة الحكومية، فبعد فتوى المرجعية الدينية شعر العراقيون بالقوة، إذ وصلت نسبة تعبئة الحشد الشعبي إلى حوالي (١٢٠) الف متطوع بعد سقوط الموصل بأيام قليلة، وأدت قوات الحشد الشعبي دوراً اساسياً في حماية سامراء وبغداد وكربلاء، وتخفيف الحصار عن آمرلي، وتحرير جرف الصخر، وحماية طرق الزيارة، وطرد تنظيم داعش من مساحات واسعة في ديالى، والجدير بالذكر أن الحشد الشعبي لم يكن شيعياً بل كانت الاستجابة الشعبية لفتوى المرجعية من جميع المكونات إذ كان للعشائر العربية السنية في الرمادي دور مهم في تحشيد وتعبئة ابنائها لمواجهة تنظيم داعش إلى جانب القوات الأمنية[١]، ودفعت هذه التجارب الى التساؤل عما إذا كان الحشد الشعبي يجب أن يكون جزءاً دائما من منظومة الدفاع العسكرية في العراق؟ أم أن هناك اهتمام إلى تحويل الحشد الشعبي كقوات احتياط وتعبئة في اوقات الحروب مقارنة مع قوات التعبئة (الباسيج)[•] في الجمهورية الإسلامية

---

(١) مايكل نايتس، مستقبل قوات الأمن العراقية، سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط (٨) ، بغداد، ٢٠١٦، ص٣١.

(•) تمثل قوات التعبئة او حركة تعبئة المستضعفين، أول نموذج لفئة اجتماعية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية إذ تكونت من شباناً صغار تقل اعمارهم عن الـ(١٧) سنة اللازمة عادة للخدمة العسكرية، وقد لا تتجاوز اعمارهم ١٠ أو١١ سنة، ويتمتعون بدوافع ايديولوجية ودينية قوية لا تختلف عن دوافع الحرس الثوري، الا انهم كانوا اقل ثقافة وعلماً من الناحية العسكرية قياساً مع معظم افراد الحرس الثوري، فأن اغلبهم طلاب المدارس الثانوية والجامعات وموظفي الحكومة وعمال المصانع ومثلهم مثل الحرس ضموا في صفوفهم خبراء فنيين، وتشكلت هذه القوات بعد أمر الإمام الخميني، بإيجاد تشكيلات مدنية تكون بمثابة موجات بشرية للدفاع عن الجمهورية =

الإيرانية؟ أم هناك قول للمرجعية الدينية في تحديد مستقبل الحشد الشعبي في ظل وجود دراسات تشير إلى احتمال بروز صراعات داخل فصائل الحشد الشعبي؟ فضلاً عن التدخلات الأمريكية التي ترى وجود الحشد يمثل تحدياً للوجود الأجنبي في العراق؟

فضلاً عن بقايا مجاميع ارهابية تقدر نسبة سيطرتها بنحو ٦ , ٥٪ من قدرة السيطرة التي كان يتمتع بها عام ٢٠١٥، وبهذا تحول تنظيم داعش من قوة تسعى لقيام دولة ارهابية إلى بقايا جماعات ارهابية خارجة عن القانون، ففي دراسة لمعهد واشنطن، للباحث هارون ي. زيلين، إذ يقول: **(أن جماعات ارهابية تابعة لتنظيم داعش يكمن في اربعة مناطق وهي: ولاية الجزيرة (شمال غرب العراق)، وولاية الفرات (غرب وسط العراق)، وولاية دجلة (شمال وسط العراق)، وولاية كركوك (شمال وسط العراق)، وتتمتع كل ولاية بدرجات مختلفة من القوة، بينما تقع الإدارة الأكثر نشاطاً في ولاية كركوك، وتُعد ولاية الجزيرة هي الاضعف إذ لا**

= الإسلامية في تشرين الثاني ١٩٧٩، إذ تم تنظيم تلك القوات على شكل وحدات صغيرة تضم من (٢٠-٣٠) جندي، وفي كانون الثاني عام ١٩٨١، بعد تصويت مجلس الشورى الإسلامي وضعت قوات التعبئة تحت قيادة الحرس الثوري وتتألف من (٩٠،٠٠٠) جندي ومع القوة العاملة والاحتياط يصل عديدهم إلى (٣٠٠،٠٠٠) رجل، أما في اوقات الحرب يصل عديد قوات التعبئة إلى (١٠٠٠،٠٠٠) جندي، وانشأت لتلك القوات (٧٤٠) كتيبة وقيادة اقليمية ويبلغ عدد جنودها ما بين (٣٠٠-٣٥٠) ، لكل كتيبة وتخضع لأوامر الحرس الثوري، أما دور قوات التعبئة يتركز على مكافحة الشغب والخارجين عن القانون والعابثين في الامن الداخليوتأسست قوات التعبئة رسمياً في كانون الثاني ١٩٩٠، وعينَ محسن رضائي رجل الدين المتشدد علي رحماني رئيساً لقوات التعبئة منذ عام ١٩٨٤، واستمر بمنصبه حتى عام التأسيس ليتولى قيادة التعبئة علي رضا افشر. للمزيد ينظر: حسين علي مكطوف الاسدي، المؤسسة العسكرية في الجمهورية الإسلامية بعد العام ١٩٧٩ دراسة: سياسية – اجتماعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٨، ص٧٤.

تتواجد بعض الخلايا الارهابية سوى في مدينة تلعفر وضواحيها على بعد حوالي (٥٠) ميلاً غرب الموصل وهي الاكثر عزلة كونها محاطة بقوات البيشمركة من الشمال، والقوات الأمنية والحشد الشعبي من الجنوب والغرب والشرق)[١].

وتطرقت دراسة في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، حول مستقبل الحشد الشعبي، إذ يُعد الحشد احد أبرز التحديات التي تواجه الولايات المتحدة والتحالف الدولي، أذ يمثل قلق شديد لواشنطن، فبعد دمج الحشد مع المؤسسة العسكرية ترى واشنطن ان الحشد صار قوة مشابهه إلى الحرس الثوري في الجمهورية الإسلامية، وعملت الولايات المتحدة على زيادة تواجدها في العراق إذ نشر (المجلس الأطلنطي الأمريكي)، في نهاية ايار٢٠١٨، **(أن واشنطن لا تريد تكرار تجربة الانسحاب من العراق كما حصل عام ٢٠١١، اعتقاداً منها أن انسحابها من العراق في المرة الاولى ترتب عليه بروز الحشد الشعبي، وقد أكد ذلك سابقاً الرئيس الأمريكي دونالد ترامب عندما رد على سؤال الصحفيين "ما كان يجب أن نغادر العراق مطلقاً" ويتواجد حالياً في قاعدة القيارة الجوية القريبة من مدينة الموصل (١٠٠٠) جندي أمريكي وعدد آخر من جنود التحالف الدولي، وهم باقون حتى في مرحلة ما بعد داعش)**، واعلن مارك كينتنير، العضو السابق بمجلس العلاقات الخارجية بواشنطن، (أن واشنطن عقدت اتفاقاً مع اقليم كردستان العراق، من اجل إقامة خمس قواعد عسكرية في اربيل والحرير واتروش وسنجار، فضلاً عن الدعم العسكري لقوات البيشمركة)[٢].

---

(١) هارون ي. زيلين، "معركة الموصل انتهت بشق الانفس ودحضت خطط الجهاديين لتبرير بقاء دولة داعش"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، نشر بتاريخ ٢٠١٧/٧/١٨، على الموقع الالكتروني: http://www.washingtoninstitute.org

(٢) علي العيساوي، العراق بعد داعش من وجهة نظر امريكية: حروب طاحنة ومستقبل مجهول، المركز =

ويواجه الحشد الشعبي تحدياً من اقليم كردستان إذ يرى الكرد أن تواجد الحشد الشعبي بالقرب من الإقليم ما سيؤدي إلى بروز اشتباكات مع البيشمركة وهذا قد حصل مرات عدة على سبيل المثال في نيسان ٢٠١٦، في مدينة طوز خورماتو، فضلاً عن مخاوف حكومة الإقليم من ان تواجد الحشد الشعبي مشاعر مؤيدة لتنظيم داعش الارهابي في الموصل وفي شمال العراق، لهذا تعمل حكومة اقليم كردستان العراق إلى دعم إي توجه معادي للحشد الشعبي وهذا ما يشكل تحدياً مستقبلياً للحشد[١].

الا أن الدعم الحكومي لقوات الحشد الشعبي الذي تكرس بقرار لبرلمان العراقي حول دمج الحشد في المؤسسة العسكرية الرسمية، إذ يُعد هذا اعترافاً بالدور الذي لعبه الحشد الشعبي في تحرير المدن العراقية من تنظيم داعش الارهابي، فضلاً عن الخبرات القتالية لدى قادة وجنود الحشد الشعبي نتيجة إدارتهم الناجحة في خوض المعارك القتالية ضد التنظيمات الارهابية، التي لا تستطيع المؤسسة العسكرية العراقية الاستغناء عنها في ظل التحديات التي تواجه العراق ومن ابرزها التواجد الارهابي في سوريا والذي تدفع به الولايات المتحدة إلى الحدود العراقية لخلق ازمات جديدة تعمل على زعزعت الوضع الامني من جهة، ودفع القوات العسكرية والحشد الشعبي إلى الانخراط في مواجهات

= إسلامي للدراسات الاستراتيجية، موقع كلمة الاخباري، نشر على الانترنت بتاريخ: ٢٠١٧/١٢/٣١، على الموقع الالكتروني:

http://Kalimiq.com.

(١) جريدة المدى، الكرد والعرب يتفقون على تأثير بغداد السيء لكنهم يختلفون حول بقاء العراق كدولة واحدة، العدد (٣٦٥٤) ، نشر على الانترنت، بتاريخ ٢٠١٦/٥/٢٤، على الموقع الالكتروني:

www.almadpaper.net.

ومعارك ضد التنظيمات الارهابية على الحدود العراقية – السورية. ولمعرفة طبيعة النماذج والتشكيلات التابعة للحشد الشعبي خصصنا المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني
نماذج من تشكيلات الحشد الشعبي

تزداد الحاجة الى مراجعة تاريخية توثيقية حول بدايات تأسيس هذه المقاومة الإسلامية الوطنية العقائدية، وهذه المراجعة بدت تزداد الحاجة اليها لعدة اسباب اهمها: صعود اجيال جديدة من الشباب العراقي المؤمن المقاوم الذي اختار خط المقاومة الإسلامية وذاب في مبادئها الإسلامية السامية، وبالتالي فهو يحتاج الى معرفة نفسه وتاريخه وماضيه. وثانياً: بسبب التعقيدات والملابسات التاريخية التي حدثت فترة الاحتلال وما صاحبها من حملات اعلامية واجتماعية وسياسية تسفيطيه ضخمة جداً ضد جميع حركات المقاومة الإسلامية التي ظهرت لمواجهة الاحتلال الأمريكي، وساهم فيها المستفيدون من الاحتلال. ولذلك سوف نحاول خلال هذا المطلب توضيح بعض فصائل المقاومة الإسلامية الاصيلة.

اولاً: منظمة بدر

رسمياً تأسس فيلق بدر عام ١٩٨٤، وقيل عام ١٩٨١، ربما يرى البعض ان الحديث عن فيلق بدر هو الحديث عن المجلس الاعلى، الا ان الفيلق من حيث تاريخ التأسيس هو الاقدم زمناً قياساً الى المجلس الاعلى الذي تم تشكيله على شكل فوج ثم مجموعة افواج حتى اصبح فيلقاً، وكان اول من رعى هذا الفيلق السيد محمد باقر الحكيم، وكانت مهمتهم عسكرية، تالف الفيلق من الذين

انخرطوا للعمل الجهادي وبعضهم من قيادات حزب الدعوة الإسلامية الميدانيين، وبعضهم ممن تأثر كثيراً في ثورة الإمام الخميني، إضافة الى دور الاسرى الذين خرجوا من الاسر، وكانوا يؤمنون بفكرة الثورة والتغيير الإسلامي، وهدفهم هو مقاومة العهد الصدامي[١]، اما قيادة الفيلق، فقد كان ابو مهدي المهندس، القيادي في حزب الدعوةفي الثمانينيات، وفي التسعينيات صار ابو مصطفى الشيباني خلفاً للمهندس، اما الحاج هادي العامري فقد كان رئيس هيئة الاركان في فيلق بدر إضافة الى العديد من المجاهدين.

بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، اعيد تسميتها الى "منظمة بدر"، في محاولة لإعادة فرض نفسها كحزب سياسي، واصبح الحاج العامري نائباً، واستطاعت المنظمة ان تؤسس روابط مع المقاومة لمواجهة الاحتلال، ومن ابرز هذا المقاومة التيار الرسالي الذي يقوده احد أعضاء بدر السابقين الشيخ عدنان الشحماني، اضافه الى كتائب الامام علي، التي وضعت ملصقات عن الشهادة تحيي ذكرى القائد الراحل لمنظمة بدر ابو زهرة الغفاري، إضافة الى حزب الله في العراق والعديد من تشكيلات المقاومة الإسلامية، وتعد منظمة بدر من ابرز التشكيلات في الحشد الشعبي[٢].

ولعبت قوات بدر دوراً مهماً كواحدة من ابرز تشكيلات الحشد الشعبي الى جانب القوات الأمنية في السيطرة على جميع انحاء وادي نهر ديالى وعلى طول الطريق من مشارف كركوك الجنوبية وصولاً الى شمال بغداد اي بمساحة تقدر

(١) محمد صادق الهاشمي وجمعه العطواني، المصدر السابق، ص٤٠١.

(٢) ماثيو ليفيت وفليب سميث، لمحة عن مليشيات شيعية تحارب داعش، المرصد السياسي، نشر بتاريخ:٢٠١٥/١/٢٢.

بحوالي ٥٠٠٠ ميل متر مربع، وتشمل معظم الاراضي التي تمت استعادتها من تنظيم داعش، وتوجه البدريون نحو نهر دجلة وكافة الاراضي العراقية لتحريرها من سيطرة تنظيم داعش[١]، واهم ما يميز بدر[٢]:

١ – لهم تواجد جماهيري وقواعد شعبية جيدة، ونلحظ على قواعدهم التي تؤيدهم انهم من الطبقات الفقيرة وابناء العشائر المهمة، وسمعة بدر حسنه ولم تتأثر سلبا بالنقد وتهم الافساد.

٢ – مواقفهم واضحه لا تقبل التأويل من الاحتلال، ومن حزب البعث، والقاعدة، ومن الدول الساندة للإرهاب في العراق.

٣– مواقفهم هي الاخرى محكمة ولا تقبل التأويل من الصراع الاقليمي الذي يسعى لخلق الطائفية، فهم ساند حقيقي لمشروع الوطنيةوجزء مهم من الحشد الشعبي.

٤ – ان دخولهم في المجلس ثم في (دولة القانون)، لم يفقدهم خصوصياتهم بل حافظوا على كيانهم السياسي ورؤيتهم وافكارهم.

٥ – اغلب رجالات بدر من الذين لهم تاريخ سياسي جهادي اي من الجيل الاول تقريباً او الثاني، مع هذا انفتحوا على الاجيال الجديدة من الشباب والعشائر والمثقفين، ويمكن تصنيف المستويات العمرية للقيادات والعناصر البدرية بنسبة

(١) مايكل نايتس، تجربة البقاع اللبناني في العراق، مقالات نشرت على الانترنت، بتاريخ: ١٦ اذار ٢٠١٥، على الموقع:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/iraqs-bekaa-valley

(٢) احصاءات يختص بها مركز العرق بناءً على دراسات ميدانية ولقاءات مع قادة بدر ومسؤولين متعددين في مختلف تنظيمات بدر في المحافظات.

٣٠٪ من عمر (٤٠) سنة فما فوق و٧٠٪ من الاعمار اربعين وما دون، اما انحداراتهم فهي جنوبية في الاصل بنسبة ٦٠٪ ونسبة ٤٠٪ من مختلف المحافظات بغداد والفرات الاوسط، اما مستوياتهم الثقافية والتعليمية، فأن نسبة ٢٠٪ اكاديميون بمستوى بكالوريوس وما فوق، و٤٠ ٪ مستويات تعليمية دون ذلك، ونسبة ٤٠٪ من مختلف المستويات، الا ان بدر سعى هو وجميع القوى السياسية الوطنية الى تطوير كوادره وتعليمها وحثها على نيل الشهادات وتثقيفها من خلال الدورات والندوات.

٦- يبدوا ان قيادات بدر بعد انفصالهم عن المجلس منسجمة في الايديولوجية ولا يوجد بينهم خلاف بارز ومؤثر على سير ادائهم السياسي والجهادي وغير متناقضين في التوجهات والمواقف السياسية، ويحضون باحترام الشارع العراقي والعربي.

ثانياً: كتائب حزب الله

لم يدخل مقاتلي حزب الله اي معركة ولم تحسم لصالحهم ابدا منذ بدأ تدفق مقاتلي الحشد الشعبي الى ارض المجابهة لمقاتلة عصابات داعش، بعد الفتوى الجهادية للمرجعية الدينية، ودخل مقاتلو حزب الله في معارك نوعية أُسر على اثرها مئات من مقاتلي داعش، وحصل على معلومات تحتاجها حتى الدول الكبرى كأمريكا ودول المنطقة المحيطة بالعراق، كما ينظر الأمريكان وقادتهم الى تلك القوات بنظرات قلقة.

نشأت كتائب حزب الله بعد الاحتلال، بل نواتهم الأساسية انطلقت قبل سقوط صدام عام ٢٠٠٣، على يد الشيخ الشهيد العشماني، وهذا ما أكده عضو

الهيئة السياسية للكتائب، جاسم الجزائري عندما قال: ((**"كتائب حزب الله تشكيل ولائي"، تأسس ما قبل الاحتلال الأمريكي للعراق، وهو من المقاومين لحقبة النظام صدام، وقدم الكثير من الشهداء في معركته ضد الديكتاتورية والعشرات من المعتقلين والمهجرين، وبدأ منذ ذلك الوقت بممارسة دوره، حتى دخل الاحتلال الأمريكي البلاد عام ٢٠٠٣، وكونهم امتازوا من حيث التكوين الرجوع الى خط ولاية الفقيه**)).

إذ لا تخفي الكتائب تأييدها وانتمائها الى ولاية الولي الفقيه والجمهورية الإسلامية في ايران حيث نشرت الكتائ بعدد من البيانات احدها بتاريخ ٢٣/ ٦/ ٢٠٠٩ وجاء بنص البيان:(**أننا في الوقت الذي نعلن فيه وقوفنا إلى جانب نظام الجمهورية الإسلامية متمثلا بالولي الفقيه الإمام الخامنئي، فإننا نحذر قوات الاحتلال الأمريكي البريطاني بأن أعمالكم الخبيثة تلك في الجمهورية الإسلامية ستنقلب عليكم عقابا شديدا من أبناء كتائب حزب الله يجعلكم تندمون على أفعالكم وان تفكروا مستقبلا ألف مرة قبل أن تقدموا على أية خطوة من شأنها أن تزعزع النظام الإسلامي في إيران الإسلام**)[١].

واستمرت هذه النواة في العمل الى ما بعد الاحتلال، في هذا الوقت ظهرت كتائب تحمل اسم لواء أبي الفضل العباس، وكتائب كربلاء وكتائب السجاد وكتائب زيد بن علي، وجميعها مقاومة إسلامية أعلنت تجمعها وتوحدها تحت اسم كتائب حزب الله، وفي عام ٢٠٠٦، كانت الأهداف المعلنة لحزب الله هي محاربة

(١) مهند الغزي، كتائب حزب الله في العراق، الحوار المتمدن، بحث نشر بتاريخ ٢٠١٤/١٠/٢. على الموقع:

http://www.faceiraq.com/inews.php?id=3108999

المحتل الأمريكي، ومارست دورها الجهادي المعروف[١].

وكانت ضربات الكتائب موجعة، واعترف الاحتلال بشدتها حتى وصل الى درجة التي دفعت السفير الأمريكي في العراق كرستوفر هيل، الطلب من رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، ان يتوقف رجال كتائب حزب الله من ضرب القوات الأمريكية ريثما يتم سحب هذه القوات من العراق. ولعبت الكتائب مع فصائل المقاومة الإسلامية، دوراً كبيراً بإخراج المحتل عام ٢٠١١ من العراق[٢].

وبعد انسحاب الاحتلال الأمريكي من العراق، لم يعلن قادة الكتائب عن المشاركة في العملية السياسية، ولا في طرح مشروع سياسي واضح، بل اتخذ برنامجا لتثقيف كوادره وتوسيع قاعدة الكتائب الجماهيرية والنوعية، وهم اقرب الى طبيعة تشكيلات حزب الله لبنان اداريا وعقائدياً. وقد اسهمفي تأسيس جناحه العسكري "عماد مغنية"، أحد أبرز قادة حزب الله اللبناني، اما المسئول الإداري والمالي: الشيخ كمال الفرطوسي وهو منشق من جيش المهدي ويساعده كلٌّ مِن (محمد الكعبي، عامر خواجة، ومقتدى الأنصاري).

اما القدرات العسكرية للحزب تتطور بشكل دائم منذ نشأته لعدة اسباب في مقدمتها دعم الجمهورية الإسلامية لمشروع المقاومة الإسلامية ضد قوى الاستكبار لعالمي، فقدمت الجمهورية صواريخ متطورة، جعلت للحزب ثقلاً عسكريًا في حرب ضد الاحتلال الأمريكي في العراق وضد الحركات التكفيرية في سوريا والعراق لاحقاً. واستمرت الكتائب بتطوير قدراتها العسكرية، فقد تمكنت

(١) جريدة الزمان، كتائب حزب الله، على الانترنت بتاريخ: الأربعاء ٦ مايو ٢٠١٥. على الموقع: http://www.azzaman.com/?p=122984

(٢) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، المصدر السابق، ص١٠٤.

عام ٢٠١٠، من تطوير صواريخ الكاتيوشا وإنتاج صواريخ جديدة هي ذو الفقار والكرار وحيدر، واستعملتها ضد القواعد الأمريكية، وفي ٥/ ١/ ٢٠١١، قامت الكتائب بضرب قواعد كالسو في شمال الحلة وسليَر وفكتوري وليبرتي في بغداد بمجموعة من صواريخ سميت بـ(الأشتر والكرار).

وتختلف كتائب حزب الله العراق في التسليح عن بقيه فصائل المقاومة، فهي تقوم بتصنيع الأسلحة بنفسها، إضافة إلى أن مهندسي وفنيي الكتائب تمكنوا من تصنيع أسلحة جديدة مثل صواريخ الأشتر، ثم طوروا الأشتر، وقاموا بصناعة صواريخ ذات قوة أكبر في التدمير والانفجار والسرعة، والتحكم بالدفع لمسافات قريبة كانت أم بعيدة، وهي صواريخ ذو الفقار والكرار، وفي سبتمبر ٢٠١٤، أعلنت الكتائب عن امتلاك طائرات بدون طيار (مسيرة). واعترف قادة أمريكيين حول شراسة مقاتلي حزب الله وباسهم في المعارك وسيطرتهم على الاجواء التي هم تحتها بوساطة طائراتهم المسيرة وفي أحيان كثيرة يكشف قادة حزب الله اسرار عن تحركات الجانب الأمريكي المريبة في الصحراء وتحركات طائراتهم واتصالاتهم مما جعل الأمريكيون يخشون الصدام مع تلك القوة الضاربة.

كما لدى كتائب حزب الله جهاز معلوماتي، كما قال عضو الهيئة السياسية للكتائب، جاسم الجزائري، ان "**الكتائب معروفة بامتلاكها منظومة استخبارية عالية، وتعتمد على القرائن والمتابعة والتحليل السياسي، والاختراقات التي تنفذها في صفوف العدو**"(١).

اتسعت عمليات كتائب حزب الله، تزامنًا مع نشاط تنظيم الدولة الإسلامية،

(١) جريدة الزمان، كتائب حزب الله، المصدر السابق.

وتميزت الكتائب بجهوزيتها العالية، وجهدها الاستخباراتي النشط. واكد ذلك جاسم الجزائري مسؤول المكتب الاعلامي في تصريح له: (**انه من خلال قراءة ما يحدث في سوريا تبين وجود إشارات لامتداد الحرب إلى العراق، وزودنا حكومة رئيس الوزراء الأسبق، نوري المالكي، بمعلومات حول خطورة الموقف، وعدم قدرة الجيش العراقي على مجابهة هذه الجماعات. متوقعين ما سيحدث في الموصل والأنبار**)، لهذا وجد مقاتلو الكتائب بكثافة في العديد من مناطق التماس الساخنة، مثل: آمرلي وطوزخورماتو ومناطق غرب بغداد وتلعفر وغيرها. وكان دور كتائب حزب الله واضحا في معركة آمرلي التابعة لمحافظة صلاح الدين، ذات الأغلبية التركمانية، التي حاصرها تنظيم الدولة الإسلامية على مدى أكثر من ١٠٠ يوم، حيث نقلت طائرات الهليكوبتر التابعة للجيش العراقي، أفضل مقاتلي الكتائب للالتحاق بالمعركة، وبحسب تصريح لاحد القادة الميدانيين في الكتائب، فقد جرى تشكيل غرفة عمليات مشتركة للتنسيق بين الجيش العراقي والحشد الشعبي، وعلى مدى أيام من القتال العنيف فيتم تحريرها بشكل كامل.

واشتركت الكتائب تحت قيادة الحشد الشعبي والجيش العراقي، في اقتحام مناطق جرف الصخر (جرف النصر) شمالي بابل وجنوب غربي بغداد، والتي تشكل عمقاً استراتيجياً يمتد إلى كربلاء المقدسة. كما أسهم مقاتلوها في صد الهجوم الذي خطط له تنظيم داعش، على العاصمة بغداد بعد العاشر من حزيران ٢٠١٤، من الجهة الجنوبية والغربية منها.

وكان للكتائب أولوية ودور فاعل في معركة تكريت، ضمن قوات الحشد الشعبي بالاشتراك مع القوات الأمنية، تساندهم المدفعية وقاذفات الصواريخ وطائرات الاستطلاع دون طيار. كما اسهمت كتائب حزب الله في عام ٢٠١٢، في

تشكيل لواء أبو الفضل العباس، الذي يضم أيضًا أعضاء سوريين ولبنانيين، وفي أوائل عام ٢٠١٣، شكلت الكتائب مقاومة اخرى هي كتائب سيد الشهداء، جنباً إلى جنب مع منظمة بدر[١].

وتتميز كتائب حزب الله بما يلي[٢]:

١ – انهم تشكيل ضم اليه نوعيات من الكوادر المختلفة تاريخياً في انتمائها وتوجهاتها الفكرية بين المؤمنين بخط الولاية اصلاً، وبين الكوادر الصدرية ومنظمة بدر وكوادر عامة، والقاسم المشترك للجميع هو الايمان المقاومة الإسلامية، وتجمعهم المضلة الوطنية، وانهم من اعماق عشائر العراق المختلفة والقريبة الى الشعب بدرجات عالية كونهم من الطبقات الفقيرة والمتوسطة.

٢ – المستوى العمري لهذه الحركة باستثناء القيادات هم من المستوى العمري الشبابي والمتوسط، وهم اقرب بتواجدهم وانتمائهم الجغرافي بان يكونوا من ابناء الجنوب وبغداد في الغالب ويرجعون اصول جنوبية سكاناً وعشائرياً.

٣– لديهم برنامج لتأهيل كوادرهم علمياً وثقافياً ولديهم طبقات حوزوية جيدة، ومنها طور النمو، ولديهم مستويات علمية معتمد بها تمكنهم في المستقبل من انتاج حركة قادرة على لعب دور مهم وفاعل في ملئ الفراغ والذي قد ينتج عن شيخوخة بعض الحركات والاحزاب السياسية الشيعية او فقدانها لشعبيتها، وهم بتوجههم هذا يعتبرون من الحركات تتميز بميزات هامة في جوانب قد لا

(١) مركز الروابط للبحوث والدراسات، "كتائب حزب الله" العراق، بحث نشر بتاريخ: ٢٠١٥/٥/١٧، على الموقع:

http://rawabetcenter.com/archives/8406

(٢) محمد صادق الهاشمي وجمعه العطواني، المصدر السابق، ص١٠٥.

تتوفر على بعض الحركات الاخرى، منها انهم ينتمون الى الغالبية العظمى من عرب العراق، والتي تشكل رصيداً مهماً لرفد العملية السياسية بالدماء الجديدة والولاء الوطني الحقيقي، وتحسين اداء وعقائد العشائر التي تلوثت تاريخياً بأفكار وسلوكيات في غاية الخطورة، واخراج العشيرة من ترسبات وعقد الفكر العلماني والفكر المتطرف، وفكرة والولاء للأقوى ولمن يمتلك السلطة والجاه والمال على حساب المبدأ والعقيدة.

٤- يحثون الخطى للاندماج الاجتماعي اكثر، ولتأهيل حركتهم باتجاه لعب دور في العملية السياسية، ومن الطبيعي ان اي حركة تريد الانتقال من مرحلة عسكرية ذات طابع سري الى مرحلة سياسية علنية تحتاج الى الجهد الكبير في هذا الصدد، لخلق الاستعداد لجميع كوادرها بان يكونوا عند مستوى الاداء السياسي الناجح، وليس الانتقال من مرحلة الى اخرى هي عملية ميكانيكية سهلة، بل هي تحتاج الى ظروف ذاتية وموضوعية عالية.

٥- تمتلك كتائب حزب الله الخبرة العسكرية والتجربة الميدانية ونضج عقيدة المقاومة والحضور الميداني، نعم يحتاج الجميع الى جهد اكبر من حضورهم الاجتماعي والسياسي، وهم مع كل هذا قوة اجتماعية تشكل رصيداً مهماً للشعب وللعملية السياسية وللحفاظ على المصلحة الوطنية وتحصينها من اي خطر داخلي او خارجي يسعى للتلاعب بمقدرات البلاد ويهدد امنه واستقراره، وهذا ما اجمع عليه جميع المراقبين وما رأيناه في الواقع العلمي في ظل المعطيات التي مرت بعد ٢٠١٠، فان الاعلام يعكس خوف الاخرين منهم كقوة تشكل سنداً وزخماً كبيراً لقوة الدولة. وهذا ما حصل في الوقت الراهن اذ تمثل كتائب حزب الله احد اهم فاصل الحشد الشعبي.

ثالثاً: سرايا السلام

اصدر السيد مقتدى الصدر، امراً بتشكيل وحدات أمنية بالتنسيق مع الحكومة العراقية تحت مسمى سرايا السلام، التي تعد فرعاً من (جيش المهدي)(•)، الذي تأسس عام ٢٠٠٣، لمواجهة الاحتلال الأمريكي، بقيادة السيد مقتدى الصدر. ولكن مع ظهور تنظيم داعش التكفيري، عادت المقاومة الإسلامية بتشكيل "لواء اليوم الموعود" و"سرايا السلام"، للعمل ضمن قوات الحشد الشعبي، لمواجهة التنظيم الإرهابي، بعد ست سنوات من تجميد جيش المهدي. وسما السيد الصدر المقاومة بـ"سرايا السلام"، تعبيراً عن الروح الوطنية، وتعني "لاطائفي"، وبالرغم من انها مقاومة شيعية بوضوح، ولكن من خلال مواجهة داعش، وقفت إلى جوار الطوائف والمذاهب الأخرى(١).

وعملت السرايا على حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية من "القوى الظلامية"، وقال السيد الصدر في بيان (**لا أستطيع الوقوف مكتوف الأيدي واللسان أمام الخطر المتوقع على مقدساتنا وأعني بها المراقد والمساجد والحسينيات والكنائس ودور العبادة مطلقا**). وأضاف (**لذا فإني ومن معي على أتم الاستعداد أن ننسق مع بعض الجهات الحكومية لتشكيل "سراياالسلام"، للدفاع عن المقدسات المذكورة آنفا بشرط عدم انخراطها إلا مؤقتا في السلك الأمني الرسمي وبمركزية من الا بالتحاق عفوي يسبب الكثير من الإشكالات**).

(•) تأسس جيش المهدي في عام ٢٠٠٣، وبرز كقوة ضاربة في محافظات وسط وجنوب العراق، واستمر جيش المهدي، في مقاومة وقوات الاحتلال الأمريكي. وخاض معارك دموية ضد الاحتلال منذ ٢٠٠٤ وحتى قرار تجميده في ٢٠٠٧/٨/٢٩.

(١) موقع بوابة الحركات الإسلامية، نشر بتاريخ: ٢٠١٥/٢/٢٠. على الموقع:
http://www.islamist-movements.com/26154

وأوضح السيد الصدر أن قراره جاء بعدما رأى أن سنة العراق وقعوا بين "فكين، فك الإرهاب والتشدد وفك الميليشيات اللا منضبطة" وتأجج "**نار الطائفية بين الشعب العراقي**"، واستعداد "القوى الظلامية" لاستغلال ذلك ومهاجمة المقدسات [١].

وفي بيان لاحق اعقب فتوى الجهاد الكفائي التي اطلقتها المرجعية الدينية في النجف الاشرف، للقتال والتطوع في صفوف القوات الامنية دعا السيد مقتدى الصدر المتطوعين في صفوف سرايا السلام إلى تنظيم استعراض عسكري في جميع المحافظات التي ضمت الوية تابعة لهيكلة السرايا[٢].

وقد تم الاستعراض بعد ايام قليلة حيث ظهر الاف من المتطوعين ضمن صفوف سرايا السلام في مختلف المحافظات وهم يحملون اسلحة ثقيلة ومتوسطة وخفيفة تتقدمهم صواريخ وراجمات ومدافع.

اما الهيكلية التنظيمية فقد اعتمدت على ان تكون سرايا السلام من ثلاثة فرق كل فرقة تتكون من اربع الوية واللواء يتكون من اربعة افواج والفوج يتكون من سرايا عدة حيث السرية تتكون من ٦٠ إلى ١٢٠ متطوع وقد احتوت كل محافظة من محافظات الوسط والجنوب العراقي على لواء واحد او اكثر يتبع لسرايا السلام، وانخرطت في القتال في سامراء بعد انباء عن سقوط قذائف هاون على مرقدي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، حيث انطلقت مجاميع من قوات

(١) نقلاً عن: جريدة الشرق الاوسط، الزعيم الشيعي مقتدى الصدر يقترح إنشاء "سرايا السلام" للدفاع عن المقدسات الدينية، وكذلك موقع سماحة السيد الصدر، بتاريخ:٢٠١٤/٦/١١. على الموقع:
http://www.france24.com

(٢) مكتب السيد مقتدى، بيان بتاريخ: ٢٠١٤/٦/١٤. على الموقع:
http://jawabna.com/index.php/permalink/7488.html

سرايا السلام من محافظة بغداد وتوجهت إلى سامراء وتكفلت بحماية المرقد ومحيطه[١].

واستطاعت قوات سرايا السلام التي انضوت تحت قيادة الحشد الشعبي، تطهر منطقة البحيرات من براثن داعش شمال بابل.

وأعلن قائم مقام قضاء المسيب في بابل عبد الكريم عبد الجبار، أن سرايا السلام التابعة لقوات الحشد الشعبي، حررت منطقة البحيرات شمال الحلة (١٠٠كم جنوب بغداد)، بالكامل من سيطرة تنظيم داعش، وساهمت في تحرير ناحية جرف الصخر (جرف النصر)[٢]، إضافة الى اغلب المناطق التي سيطر عليها تنظيم داعش، ولا تزال سرايا المقاومة، تمثل ساعداً من سواعد الحشد الشعبي، وتضرب بيد من حديد تنظيم داعش التكفيري.

رابعاً: عصائب اهل الحق

كانت نواة التأسيس الاولى لعصائب اهل الحق في النجف الاشرف مدرسة الامام المهدي الدينية، على شكل مجاميع جهادية بتاريخ ٣ آيار ٢٠٠٣، بعد ايام قليلة من دخول قوات الاحتلال الأمريكي للعراق. وذلك عندما اتفق الشيخ قيس الخزعلي، مع مجموعة من طلاب السيد الشهيد الصدر الثاني، على تشكيل هذه النواة التنظيمية الجهادية للتصدي لتحديات المرحلة الجديدة وظروف

(١) قناة المنار، على الموقع:
http://www.almanar.com.lb/adetails.php?eid=887401#

(٢) وكالة انباء براثا، قوات سرايا السلام البطلة التابعة للحشد الشعبي تطهر منطقة البحيرات من براثن داعش الارهابي شمال بابل، نشر بتاريخ: ١٥ أكتوبر، ٢٠١٤. على الموقع:
http://burathanews.com/news/250251.html

الاحتلال ولكن بشكل خفي غير معلن. وكانت هذه النواة التنظيمية عبارة(مجاميع)، من الصدريين الذين رأوا ان الوضع العام في البلاد وما يحدث يستدعي ايجاد مقاومة شأنها التصدي لحماية وضع البلاد ولو بالممكن المستطاع. وبدأت المجاميع بالعمليات الجهادية ضد الاحتلال وكانت تعرف داخليا باسم (المجاميع الخاصة)، وبشكل غير مُعلن، وبعد انتهاء انتفاضة النجف الأشرف ضد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٤، استمرت بالمقاومة وعرفت المجاميع الخاصة، عن نفسها باسم (اهل الكهف)، تيمناً بالفتية المذكورين بصورة الكهف في القران الكريم، ولذلك فقد نزل اول اصدار اعلامي للعصائب بهذا الاسم (اصحاب الكهف)، عام ٢٠٠٤، والذي لم ينتشر كثيراً لضعف الامكانات الفنية آنذاك، ولكي ينسجم الاسم مع طبيعة الحركة فقد بحث قيادات الحركة عن عنوان اعم واعمق دلالة، فكانت الرغبة بان يكون لأسم المقاومة بُعداً مهدوياً وعمق تاريخي يعبر بدقة عن هوية العصائب واتباعه ويكون جامعاً لكل خصائصه. فكان اختيار اسم (عصائب اهل الحق)، وثبتت عليه بعد ان وجدت قيادات الحركة تطابق الاهداف ورؤى الخط الفكري الإسلامي. وتأتي هذه التسمية بمعنى واحد وهو الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين وهي مُشتقة من العصبية، التي تعني شدة ارتباط المرء بعُصبته او جَماعته والقناعة والرضا بها والجد في نصرتها والتعصب لمبادئها، لذا اقترن الاسم بالحق ليكون تعصباً للحق وأهله[١].

الا انها بعد خروج الاحتلال اعلن اهل الحق عن مشاركتهم بالعملية السياسية، وتخليهم للسلاح لانتفاء الحاجة اليه بعد خروج الاحتلال الأمريكي،

(١) محمد الدليمي، من ارشيف المقاومة، مجلة الرشيد، السنة الثانية، العدد (٢٨) ، الاربعاء ٢٠١٤/٤/٢.

وتبني العمل السياسي، وقدمت بعض مقترحاتها ورؤيتها في مجمل محاور العملية السياسية في العراق، وقد انفتحت على جميع المكونات السياسية والاجتماعية، وقدمت نفسها كحركة سياسية إسلامية تؤمن بالتداول السلمي للسلطة، وهي تدافع عن جميع المكونات الاجتماعية العراقية على قدم المساواة، وبناءً على تعاليم الإسلام الحنيف، ومبدأ ولاية الفقيه الذي تتبناه الحركة بقوة. وان ما يميز اهل الحق وضوح الافكار والمتبنيات التي تطرح من قبلهم في وسائل الاعلام، مع ان وسائل الاعلام المغرضة التي تمثل تحدياً للحشد الشعبي، وفصائل المقاومة كما اشرنا سابقاً أذ سعت لتشويه صورتهم، او غمط حقهم في مقاومة أمريكا، وتطلق عليهم مسميات (المليشيات)، (العناصر الخارجة عن القانون)، لغرس ثقافة الكراهية ضدهم في اوساط الشعب العراقي، ولمنع اندماجهم في المجتمع وبالعملية السياسية، الا ان اهل الحق في غاية الوضوح في ايمانهم بالعملية السياسية، فقد اوضح العديد من قادتهم وسجلنا ورصدنا تصريحاتهم، انهم اشد ميلاً الى بناء العملية السياسية وترصينها وحمايتها[١].

اما الخطاب الذي تتبناه العصائب نخرج بجملة من نتائجه اهمها[٢]:

١ – ان الخطاب الذي تتبناه قيادة عصائب اهل الحق يستمد قوته من تكافئه مع مشاعر القاعدة الجماهيرية التي تشاركه التفكير الايديولوجي المشترك من دون ان يتجاهل عنصر الدبلوماسية في التعبير عن هذا التفكير امام الاخر المذهبي الذي يشطره في الارض والوطن.

٢ – تجرد الخطاب الذي تتبناه قيادة اهل الحق عن أي عنصر يرتبط بالبعد

(١) محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، المصدر السابق، ص١٠١.
(٢) محمد الدليمي، المصدر السابق.

العاطفي او المبني على المرتكزات المسبقة والمواقف ذات اللباس الشخصي والتوجه الذاتي الفردي.

٣- الذي يراقب قراءة المشهد العراقي من قبل قيادة اهل الحق يجد ان هناك انسجاماً بين الخطاب السياسي الصريح والموقف السياسي الصريح من جهة، وبين الحفاظ على الهوية ومواكبة المرحلة من جهة اخرى.

وبعد فتوى الجهاد الكفائي للمرجعية الدينية، التحق اهل الحق بفصائل المقاومة تحت لواء الحشد الشعبي، وشكلت حركة المقاومة الإسلامية عصائب اهل الحق دوراً محورياً في تشكيلات الحشد الشعبي، الذي هب لتقديم الاسناد اللوجستي للقطعات العسكرية التي يساندها جميع ابناء الشعب العراقي وبدون استثناء من اجل تحرير كل الاراضي العراقية وحماية المقدسات من دنس الارهاب وعصابات داعش[١]. وقال المتحدث الرسمي باسم عصائب اهل الحق الشيخ نعيم العبودي: **(أمساكنا السلاح له ضرورة لمواجهة داعش، اما بعد انتهاء هذه الصفحة، فأننا جزء من العملية السياسية ولدينا ممثل في البرلمان، ونحن جزء من الشعب العراقي، فاذا ذهبت داعش، وهو امر محتم واكيد، فاعتقد اننا سنكون جزءا فاعلا من العملية السياسية)**[٢].

كما ان الانتصارات المتتالية التي سطرها ابطال المقاومة الإسلامية عصائب اهل الحق تعبر بوضوح عن وجود مستوى عالي من العقيدة القتالية والتي روعيت

(١) عدنان الحساني، العصائب تصنع التاريخ من جديد، مقال نشر بتارخ: ٢٠١٥/٤/١٩. على الموقع:
http://ahlualhaq.com/index.php/permalink/3951.html

(٢) حوار مع: المتحدث الرسمي باسم عصائب اهل الحق الشيخ نعيم العبودي، لجريدة البينة، على الموقع:
http://albayyna-new.com/?p=١٧٠٤٨

بشكل جدي وحريص من قبل قيادة العصائب وهـذا ان دل عـلى شيء فهـو يـدل على مدى تمرس هذه القيادة في فهم مسؤوليتها العقائدية وقـدرتها عـلى استـشراف المستقبل.

وهناك ملاحظات على هذه المقاومة ابرزها[١]:

١ – ان افرادها اغلبهم من جيل الشـهيد الصـدر الثـاني وهـم يؤمنـون بخـط المرجعية التجديدية، ويتأثر قادتها بفكر ومنهج الشهيد الصـدر الثـاني، مـن حيـث التأسيس، وبفكر الامام الخميني، وقيادة السيد علي الخامنئي اسـتمراراً، وهـذا مـا عليه ثقافة الحركة عموماً بلا تباين ولا تفاوت.

٢ – ان اعمارهـم كشـباب وكـوادر منظمـة هـي نفـس الاعـمار لـدى التيـار الصدري، وهذه احدى الخصائص الحيوية في اداء دورهم المقاوم الفاعل، وعلـيهم ينعقد الامل مستقبلاً في ان يحتلوا الدور الصحيح في العملية السياسـية، خصوصـاً انهم يمتلكون شجاعة وتجربة ووضوحاً في المنهج والولاء.

٣– مستوياتهم العلمية على مستوى قيادة جيدة، وفيهم طبقة مـن الحـوزويين والفضلاء الجيدين والواعدين، واما على مستوى القاعدة فمستوياتهم مختلفة، ولهم كوادر اعلامية ومثقفه جيدة، والجـدير بالـذكر ان الحركـة تهـتم بتطـوير كوادرهـا فكرياً وعملياً ومهنياً وما زالت بحاجة الى الكثير في هذا المجال.

٤ – تمكنت الحركة ان تُفهم الشعب العراقي خطابها وسـجلت رقـماً في تقبـل الشعب العراقي والقوة السياسية لها، من خلال الندوات والزيارات.

٥ – تمكنوا ان يندمجوا في الشعب العراقي، فان الاعلام الغربي المغرض اراد ان

(١) محمد صادق الهاشمي وجمعه العطواني، المصدر السابق، ص١٠٣.

يفصل بينهم وبين الامة، ويشكك بوطنيتهم ويربط مشروعهم بأجندة خارجية كما يصور هذا الاعلام، الا انهم تجاوزوا هذه العقدة، وهم اليوم جزء من شعب العراق يعبرون عن اهدافه ومصالحه.

٦- مع انهم يترسمون خط ولاية الفقيه عقائدياً الا انهم على علاقة راسخه بحوزة النجف الاشرف والمرجعية الدينية هناك لانهم يتصرفون بحكمة عالية بهذا الصدد، ومراعاة لخصوصيات الواقع العراقي فلم يعرف عن علاقتهم بالحوزة في النجف الاشرف الا الاحترام، وعنهم الا التقديس والتقدير لدور الحوزة والمرجعية الدينية، والذي يؤكد هذه العلاقة وجود عدد من الفضلاء المنتمين لتشكيل اهل الحق في النجف يتلقون دروسهم على يد علماء دين هناك.

٧- ان توزيعهم الجيوسياسي هو ذات التوزيع للتيار الصدري تقريباً، لان اغلب عناصر اهل الحق من اتباع الخط الصدري وهم في الغالب من الجنوب والفرات الاوسط، وهم ابناء الطبقات الشعبية الفقيرة والتجمعات السكانية عالية الكثافة، ولم يكونوا ابناء الرفاه والابراج العالية، وان نسبة المتعلمين دون مستوى الجامعي يبلغ من ٥٠ الى ٦٠٪ والحاصلين على الشهادات الجامعية يقدرون ١٥ الى ٢٠٪ والنسبة في زيادة.

٨- امتلكوا خبرة عسكرية عالية وقدرة نفسية واستعداداً مكنهم من لعب دوراً لحماية المصالح الوطنيةوالتصديلأي طارئ ومخطط اقليمي ودولي كما نراهم اليوم يمثلون احد اهم فصائل الحشد الشعبي، وهم بهذا يكونوا رصيداً مهما لحماية العملية السياسية خصوصاً ان عقيدتهم واضحه في حفظ العملية السياسية ومصالح التشيع.

الخاتمة

مما تقدم يتضح ان الازمات التي شهدها المجتمع العراقي في تاريخه الحديث والمعاصر، جعلت المرجعية الدينة في المجتمع العراقي تحضى بالتأييد الشعبي وان كلمتها هي الفصل فيما اختلف عليه المختلفون، وادت المرجعية في العراق دوراً فعالاً لم يقتصر على الدرس الفقهي، كما هو معروف عن المرجعيات الدينية، وانما يمتد هذا الدور الى العمل السياسي اذ اخذت المرجعية الدينية تثقف الناس على مقارعة الظلم والجور والاستبداد، وفي هذا السياق ينقل عن الامام الخميني، مخاطباً طلابه في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ما نصه: "عرفوا الناس على الإسلام، لكي لا تتصور الاجيال القادمة، ان رجال الدين قد جلسوا في زوايا النجف الاشرف وقم المقدسة يدرسون احكام الحيض والنفاس، ولا دخل لهم بالسياسة"، ولعل هذا النص يؤكد دور المرجعيات الدينية واثرها على المجتمع بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة.

وهذا ما سارت عليه المرجعية الدينة في النجف الاشرف بعد عام ٢٠٠٣، عبر دورها الواضح في مقارعة الاحتلال، ومواجهة المخاطر التي واجهها المجتمع العراقي، اضافه الى دورها السياسي في بناء وترسيخ النظام والديمقراطية لدى المجتمع العراقي، وصولاً الى الخطر الداعشي التكفيري، فقد كانت ولا زالت وستبقى المرجعية الدينة الدرع الامين وصمام الامان للمجتمع العراقي، وكان من ابرز نتاجها في الوقت الراهن هو الحشد الشعبي، واعتقد ان مستقبل الحشد

الشعبي مرهون بالمرجعية الدينية كونها هي اساس هذا الحشد ومن ابرز الامور التي تثير القلق هي الخلافات داخل الحشد الشعبي الذي يتسرب عبر الاعلام، وربما ان هذا الاعلام مغرض، الا انه ليس ببعيد اصدار فتوى اخرى تؤدي الى تجميد الحشد الشعبي بعد الانتصار المحقق بأذن الله على داعش التكفيري، كما ان السيناريو الاخر لمستقبل الحشد هو البقاء والانطواء تحت المؤسسة العسكرية الامنية ليصبح انموذجاً في المنطقة العربية، وربما تعمل الدول بهذا النموذج لما يحققه من انتصارات يعترف بها الصديق والعدو.

المصادر

اولاً: الكتب العربية والمترجمة

١- تشارلز تريب، صفحات من تاريخ العراق، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

٢- جاسم الشيخ زيني، الدولة في فكر محمد باقر الصدر، مؤسسة البديل للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٩.

٣- جعفر السبحاني، المذاهب الإسلامية، ط٢، مؤسسة الإمام الصادق، ٢٠٠٦.

٤- حامد الخفاف، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقية، ط١، دارالمؤرخالعربي، بيروت، ٢٠٠٧.

٥- ـــــ، النصوص الصادرة عن سماحة السيد السيستاني في المسالة العراقية، ط٦، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠١٥.

٦- حسن ابو هنية ومحمد سليمان ابو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية "الازمة السنية والصراع على الجهادية العالمية"، مؤسسة فريد ريشايرث، عمان، ٢٠١٥.

٧- حسين بركة الشامي، المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة، مؤسسة دار الإسلام، مطبعة الصدر، لندن، ١٩٩٩.

٨- حسين علي مكطوف الاسدي، ايران والمنهج الديمقراطي، مركز العراق

للدراسات، بغداد، ٢٠١٥.

٩- خالد محسن جابر اليعقوبي، السياسة الأمريكية تجاه العراق وانعكاساتها الاقليمية والدولية بعد نيسان ٢٠٠٣، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٣.

١٠- ريشارلا بيفيير، التحول الكبير "بغداد – بيروت"، ترجمة: ميشال كرم، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٨.

١١- شيماء الدمرداش العقالي، نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية ايران الإسلامية، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.

١٢- عبد الخالق ناصر شومان، الطائفية السياسية في العراق (١٩٥٨ – ١٩٩١)، دار الحكمة، بغداد، ٢٠١٣.

١٣- عبد الرحيم الحمراني وآخرون، لمحات من حياة الإمام الخميني ﷺ، ترجمة: لجنة الغدير، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، بلا.

١٤- علي اكبر ولايتي، موسوعة الإسلام وايران، ج٤، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٦.

١٥- علي البغدادي وآخرون، قراءات في فكر الإمام الخميني، ج١، المركز الثقافي للدراسات الإسلامية، سلسلة البحوث والافكار (١)، بغداد، ٢٠١٠.

١٦- علي الفياض، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الدراسات الحضارية، بيروت، ٢٠١٠.

١٧- علي محافظة، حركات الاصلاح والتجديد في الوطن العربي والتحديات التي تواجهه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١.

١٨- عمار البغدادي، الحوزة العلمية واثرها في بناء العراق الحديث، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف، بلا.

١٩- محمد ابو رمان وحسن ابو هنية، الحل الإسلامي في الاردن "الإسلاميون والدولة ورهانات الديمقراطية والامن"، مركز الدراسات الاستراتيجية، الاردن، ٢٠١٢.

٢٠- محمد جعفر النوري، دور الحوزة العلمية في وحدة الامة الإسلامية، مركز الهدى للدراسات الحوزوية، النجف الاشرف، ٢٠١٣.

٢١- محمد رضا النعمان، سنوات المحنة وايام الحصار، ط٢، اسماعيليان، قم، ١٩٩٧.

٢٢- محمد صادق الهاشمي وجمعة العطواني، شيعة العراق مصادر القوة والتحديات، مركز العراق للدراسات، ٢٠١٤.

٢٣- محمد صادق الهاشمي، رؤية في الحشد الشعبي "التأسيس والاستشراف"، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٥.

٢٤- محمود شمال حسن، مرجعيات الجماعات "المرجعيات واثرها في تقرير توجهات الافراد"، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٠.

٢٥- مصطفى الدباغ، امبراطورية تطفو على سطح الارهاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤.

٢٦- منتصر العيداني، قيادات الانتقال والتنمية السياسية العراق ولبنان انموذجا

١٩٩٠ – ٢٠١١، المعارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠١٢.

٢٧- مهند مبيضين، الفكر السياسي الإسلامي والإصلاح التجربتان العثمانية والإيرانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨.

٢٨- ميلان راي، الحرب على العراق نظام لم يتغير، ترجمة: زينة مشورب، الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٥.

٢٩- مايكل نايتس، مستقبل قوات الأمن العراقية، سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط (٨)، بغداد، ٢٠١٦.

٣٠- نجم الدين بيرقدار، كركوك بين الحقيقة والواقع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١١.

٣١- هالة فتاح وفرانك كاسو، موجز تاريخ العراق ١٩١٤ –٢٠٠٨، دار المرتضى بغداد، ٢٠٠٨.

٣٢- هالة فتاح وفرانك كاسو، موجز تاريخ العراق ١٩١٤ –٢٠٠٨، دار المرتضى بغداد، ٢٠٠٨.

٣٣- هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، ج١، المعهد الإسكندنافي لحقوق الإنسان، ٢٠١٢.

٣٤- ولينصر، صحوة الشيعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٧.

٣٥- ويلفريد يوختا، من يحكم ايران، دراسات مترجمة، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابوظبي، ٢٠٠٩.

ثانيا: الدوريات والمجلات والمقابلات والتقارير

١- اوراق ونقاشات مؤتمر: صعود الراديكالية الدينية في العالم العربي، مؤسسة فريد ريشايبرت، عمان، ٢٠١٤.

٢- تقدير موقف: حسابات واشنطن في معركة الموصل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة تحليل السياسات في المركز العربي، قطر، تشرين الأول ٢٠١٦.

٣- جريدة الصباح، العدد (٣١٣٧)، ٢١ حزيران ٢٠١٤.

٤- جريدة الشرق الاوسط، الزعيم الشيعي مقتدى الصدر يقترح إنشاء "سرايا السلام" للدفاع عن المقدسات الدينية.

٥- جريدة المدى، ناشطون ميسانيون يدعون لعدم جعل العراق "حقلاً للتجارب"، السنة الحادية عشرة، العدد (٣١٠٧)، السبت ٢١ حزيران ٢٠١٤.

٦- جريدة المشرق، عشائر الفرات الاوسط توقع وثيقة عهد في الصحن الحسيني، السنة الحادية عشرة، العدد (٢٩٥٥)، السبت ٢١ حزيران ٢٠١٤.

٧- جريدة نيويورك تايمز، بتاريخ ٦/ ٧/ ٢٠١٤.

٨- حسين علاوي خليفة، ادارة التوحش لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وخطورته على الامن الوطني العراقي، قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، العددان (٣٧ – ٣٨)، ٢٠١٤.

٩- حيدر علي (الامين العام للمزارات الشيعية الشريفة)، الجهاد الكفائي.. فتوى

العزة والاباء، مجلة مزارات، السنة الاولى، العدد (٤)، كربلاء المقدسة، ٢٠١٤مجلة مزارات، السنة الاولى، العدد (٤)، كربلاء المقدسة، ٢٠١٤.

١٠- عبد الحسين شعبان، داعش واخواتها واعادة تداول المسالة العراقية، مجلة حمورابي، العدد العاشر، السنة الثالثة، بغداد، تموز٢٠١٤.

١١- علي فاضل الدفاعي، معالم الحكمة والمسؤولية في مواقف المرجعية الدينية العليا، مجلة حوار الفكر، السنة العاشرة، العدد (٣٠)، ايلول ٢٠١٤.

١٢- فردريك ويري واريل آرام، الحرس الوطني في العراق: استراتيجية خطرة لمكافحة الدولة الإسلامية، ترجمة: علاء الربابعه، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، ٢٣ ايلول ٢٠١٤.

١٣- لقاء اجراه الكاتب: مع الاستاذ جمعة العطواني، مدير شبكة افق للتحليل السياسي، في مقر الشبكة، بغداد، بتاريخ ٢٥/ ٧/ ٢٠١٥.

١٤- لقاء اجراه الكاتب: مع الدكتور محمد صادق الهاشمي، رئيس مركز العراق للدراسات، في مقر المركز ببغداد، بتاريخ ١٩/ ٧/ ٢٠١٥..

١٥- لقاء اجراه الكاتب: مع السيد عباس النوري، باحث وعضو دائم في مركز العراق للدراسات، يوم ٢٥/ ٧/ ٢٠١٤.

١٦- لينا الخطيب، صعود جبهة النصرة يغير قواعد اللعبة في سورية، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، ٢٤ اذار ٢٠١٥.

١٧- ماثيو ليفي توفليب سميث، لمحة عن مليشيات شيعية تحارب داعش، المرصد السياسي، نشر بتاريخ: ٢٢/ ١/ ٢٠١٥.

١٨- مازن صاحب، كردستان على مرمى داعش ومخاوف متجددة من السلفية الكردية، موقع كتابات، الاحد ١٠ اب ٢٠١٤.

١٩- مايكل نايتس، المعركة ضد داعش الحركات الشيعية المسلحة ومساعي التحالف الدولي، مركز الدراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد (١١١)، ٢٠١٤.

٢٠- مايكل نايتس، كردستان العراق هل تصبح "اسبارطة صغيرة" في الشرق الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية، السنة الثانية، العدد (١٠١)، كربلاء المقدسة.

٢١- مجموعة مؤلفين، تمدد القاعدة وافراخها: الحواضن المأزومة، سلسلة حواريات حمورابي، العدد (١)، بغداد، تشرين الاول ٢٠١٣.

٢٢- محمد الدليمي، من ارشيف المقاومة، مجلة الرشيد، السنة الثانية، العدد (٢٨)، الاربعاء ٢/ ٤/ ٢٠١٤..

٢٣- محمد خواجه، داعش منابع واساليب وتأثيرات، شؤون الاوسط، العدد (١٤٩)، خريف ٢٠١٤.

ثالثاً: الإطاريح الجامعية:

١-حسين علي مكطوف الاسدي، المؤسسة العسكرية في الجمهورية الإسلامية بعد العام ١٩٧٩ دراسة: سياسية – اجتماعية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠١٨.

رابعاً: الانترنت:

١ – موسوعة انصار الحسين، الانترنت على الموقع:

www.ansarh.com

٢ – مؤسسة الصدرين للدراسات الاستراتيجية، الانترنت على الموقع:

http://www.alsadrain.com

٣– مركز الاستقلال الأمريكي للطاقة، تاريخ القاعدة، الانترنت على الموقع:

http //www.americenergy indepence.com american energy Independence

٤ – بيان تأسيس دولة العراق الإسلامية، على الموقع

https://nokbah.com/~w3/?53p

٥ – لآرونلوند، الفرق بين تنظيم القاعدة و"تنظيم الدولة الإسلامية"، في العراق وسوريا داعش بين البغدادي والظواهري، صراع الاجيال السلفية الجهادية، ترجمة: رائد الباش، قنطرة، الانترنت على الموقع:

http://ar.qantara.de/content

٦ – مجلة العرب الدولية، بعد عشر سنوات من سقوط صدام العراق الى اين؟، نشرت بتاريخ ١٢/ ٨/ ٢٠١٤، على الموقع:

http://www.majalla.com

٧– النهار وكالات، من هي داعش، نشر بتاريخ ١٠ حزيران ٢٠١٤، الانترنت على الموقع:

http://www.annahar.com

٨- محمد ابو رمان، داعش الظاهرة والحقيقة، محاضرة في الاردن بتاريخ ١/ ٩/ ٢٠١٤، على الموقع:

http://www.judran.net/?p=2632

٩- مهى يحى، ازمة العراق الوجودية: الطائفية مجرد جزء من المشكلة، مركز كارنيغي للشرق الاوسط، مقال نشر بتاريخ: ٦ تشرين الثاني ٢٠١٤، على الموقع:

mec.org/2015/07/08/ar-60622/id3m

١٠- بيان صادر من مكتب الإمام السيستاني، على الموقع:

http://www.sistani.org/arabic/archive/24918/

١١- شبكةعراق القانون، الانترنت على الموقع:

net/news/2015/05/26/57767

١٢- جاك جوزيف اوسي، ليلة سقوط الموصل، الحوار المتمدن، العدد (٤٤٨٥)، مقال نشر بتاريخ: ١٧/ ٦/ ٢٠١٤، على الموقع:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=41980

١٣- شبكة الاعلام العراقي، بطولات الحشد الشعبي، الانترنت، على الموقع:

http://www.imn.iq/articles/view.2432/

١٤- الفرات نيوز، نشر بتاريخ: ١٠/ ٦/ ٢٠١٥، على الانترنت، الموقع:

//:wwww.alforatnews.com/modules/news/article.php?story id=86997

١٥- منتدى فكرة، هل بدأت نهاية تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق؟، حوار

نشر على الانترنت، بتاريخ: ٢٩ يناير ٢٠١٥، على الموقع:

http://fikraforum.org/?lang=ar#.VbPQ4LOqq o

١٦- مايكل نايتس، تجربة البقاع اللبناني في العراق، مقالات نشرت على الانترنت، بتاريخ: ١٦ اذار٢٠١٥، على الموقع:

http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/iraqs-bekaa-valley

١٧- مهند الغزي، كتائب حزب الله في العراق، الحوار المتمدن، بحث نشر بتاريخ ٢/ ١٠/ ٢٠١٤. على الموقع:

http://www.faceiraq.com/inews.php?id=3108999

١٨- جريدة الزمان، كتائب حزب الله، على الانترنت بتاريخ: الأربعاء ٦ مايو ٢٠١٥. على الموقع:

http://www.azzaman.com/?p=122984

١٩- مركز الروابط للبحوث والدراسات، "كتائب حزب الله"العراق، بحث نشر بتاريخ: ١٧/ ٥/ ٢٠١٥، على الموقع:

rawabetcenter.com/archives/8406

٢٠- موقع بوابة الحركات الإسلامية، نشر بتاريخ: ٢٠/ ٢/ ٢٠١٥. على الموقع:

http://www.islamist-movements.com/26154

٢١- موقع سماحة السيد الصدر، بتاريخ:١١/ ٦/ ٢٠١٤. على الموقع:

http://www.france24.com

٢٢- مكتب السيد مقتدى، بيان بتاريخ: ١٤/ ٦/ ٢٠١٤. على الموقع:

jawabna.com/index.php/permalink/7488.html

٢٣- قناة المنار، على الموقع:

//:www.almanar.com.lb/adetails.php?eid=887401#

٢٤- وكالة انباء براثا، قوات سرايا السلام البطلة التابعة للحشد الشعبي تطهر منطقة البحيرات من براثن داعش الارهابي شمال بابل، نشر بتاريخ: ١٥ أكتوبر، ٢٠١٤. على الموقع:

//:burathanews.com/news/250251.html

٢٥- عدنان الحساني، العصائب تصنع التاريخ من جديد، مقال نشر بتارخ: ١٩/ ٤/ ٢٠١٥. على الموقع:

http://ahlualhaq.com/index.php/permalink/3951.html

٢٦- المتحدث الرسمي باسم عصائب اهل الحق الشيخ نعيم العبودي، لجريدة البينة، على الموقع:

//:albayyna-new.com/?p=17048

٢٧- ستيفن كالين وبابك دهقان بيشه، "العبادي يقول حملة الموصل تسير بخطى أسرع مما كان متوقعاً"، رويترز، ٢٠/ ١٠/ ٢٠١٦، شوهد في ٣١/ ١٠/ ٢٠١٦، على الموقع الالكتروني:

http://bit.ly/2edjlqz

٢٨- ياسين بوتيتي، "الجيش العراقي مقتل ٢٥ الف (داعشي) في معركة تحرير الموصل"، وكالات اخبار العالم، على الموقع الرسمي لقناة ارت العربية، على الموقع الالكتروني:

http://arabic.rt.com/middle

٢٩- مايكل نايتس، كيف ستتبلور معركة الموصل، معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، نشر بتاريخ ٤/ ١٠/ ٢٠١٦، على الموقع الالكتروني:

http://www.washingtoninstitute.org

٣٠- هارون ي. زيلين، "معركة الموصل انتهت بشق الانفس ودحضت خطط الجهاديين لتبرير بقاء دولة داعش"، معهد واشنطن لسياسة الشرق الادنى، نشر بتاريخ ١٨/ ٧/ ٢٠١٧، على الموقع الالكتروني:

http://www.washingtoninstitute.org

٣١- علي العيساوي، العراق بعد داعش من وجهة نظر أمريكية: حروب طاحنة ومستقبل مجهول، المركز إسلامي للدراسات الاستراتيجية، موقع كلمة الاخباري، نشر على الانترنت بتاريخ: ٣١/ ١٢/ ٢٠١٧، على الموقع الالكتروني:

http://Kalimiq.com.

٣٢- جريدة المدى، الكرد والعرب يتفقون على تأثير بغداد السيء لكنهم يختلفون حول بقاء العراق كدولة واحدة، العدد (٣٦٥٤)، نشر على الانترنت، بتاريخ ٢٤/ ٥/ ٢٠١٦، على الموقع الالكتروني:

www.almadpaper.net.

خامساً: المصادر الاجنبية

1- Ewen Mac Askill، 'Baghdad waitis in fear for rebuilding to start'، Guardian، 9 May 2003، p. 15.

2- Nick Robins-Early، "Why The Massive U.S.-Backed Mosul Offensive Matters"، Huffington Post، October 18، 2016، accessed on 31/10/2016، http://huff.to/2ediDFdx.